إطلالة على الهمّ الاجتماعي في ذاكرة القرن الماضي الشعرية

عرض وتحليل ونقد

اعداد الاستاذ الدكتور

رفعت التهامي عبد البر

أستاذ الأدب والنقد المتفرغ

كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

إطلالة على الهمّ الاجتماعي في ذاكرة القرن الماضي الشعرية
عرض وتحليل ونقد

رفعت التهامي عبد البر

قسم الأدب والنقد، كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان، جامعة الأزهر، مدينة العاشر من رمضان ,مصر.

البريد الاليكتروني: Refaat. eltohamy@azhar. edu. eg

الملخص:

الحلقة الأولى – تمهيد نقدي

١- مصر من أغنى الناس تاريخاً، وأوفرهم حظاً من الأصالة والفكر والحضارة، يحفظ لها التاريخ والأدب هذه الأصالة، لذا نعود دائماً إلى التاريخ اهتداءً بإشراقاته، وبغيةَ تجنُّب تكرار إخفاقاته.. هذا من فوائد التاريخ، ومن ثمرات الأدب الذي اعتدّ التاريخ ببعضه كمصدر من مصادره.

٢- ولا شك أن المشكلات الاجتماعية على سيرورتها في الناس والمجتمعات – تختلف وتتمايز في الزمان والمكان، وقد يختفي بعضها وتظهر قضايا أخرى تستدعى على طريق الحلّ طرائق في التفكير، ومعازف من جيد التعبير؛ وحين نُذكِّر أجيالنا الحاضرة بما غاب عن ذاكرتهم من جبال الهمّ وكبار المشاكل في الماضي القريب– فإنما نهدف إلى تبصيرهم بشِرعة الحياة وتقلباتها وصراع البشر فيها، وأنّ **القبيح** مرذولٌ تعافه النفس، وتسعى للخلاص منه، وأن **الجميل** تهفو إليه النفوس وتطمح إلى أن يكون واقعاً ملموساً في الفن والحياة على السواء.

٣- هذا ويسعى البحث نحو غايته معتمداً على حلقتين: **الأولى منهما** بمثابة (تمهيد نقدي) في مبحثين ١- حول العلاقة بين الأدب والمجتمع (حتمية هذه العلاقة – اهتمام النقد الحديث بها). ٢- المذهب الغالب على أدبنا المصري في مرحلة البحث، وفيه أ- "الواقعية" مفهومها لدى الغرب وبداياتها لدينا. ب- معركة تصحيح مفاهيمنا حول الواقعية في القرن الماضي. ج- "الوجودية" والرد على من تبناها في بيئتنا المصرية. د- مقياس التزام الأديب وما يثيره من جدل نقدي ومذهبي.

أمـا **الحلقـة الثانيـة** فللدراسـة التطبيقيـة علـى شـعر القـرن الماضـي فـي فصـلين...، وحتـى لا يطـول البحـث هنـا أرجأنـا تلـك الحلقـة للعـدد القـادم إن شاء الله.

وكـلا الحلقتـين مشـفوع بالخاتمـة والنتـائج والتوصـيات، وأهـم المصـادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: اطلالة، الهم الاجتماعي، ذاكرة، القرن الماضي، الشعرية.

An Overview of the Social Worries in the Poetic Memory of the Last Century

Representation, Analysis, and Criticism

RefaatEltohamy
Department of aladibwalnaqd, Faculty of Girls ١٠th of Ramadan, Al Azhar University-Eygpt
Email: Refaat. eltohamy@azhar. edu. eg

Abstract:

The First Part: A Critical Introduction

I- Egypt is one of the richest countries in history, and the most fortunate of them in terms of originality, thought and civilization. History and literaturepreserve this authenticity for it. Therefore, we always return to history, guided by its radiances, aiming to avoid repeating its failures. This is one of the benefits of history. It is also one of the fruits of literature that history counts as one of its sources.

II- Undoubtedly, the social problems are the same in people and societies - differ and vary in time and place. Some of them may disappear; and others may appear that, as a means of solution, call for ways of thinking and orchestral variety of statements. So, when we remind our present generations of the massive worries and major problems of the recent past that they missed from their memory,we aim to make them aware of the law of life, its vicissitudes, and the struggle of human beings in it. And that the souls detest the ugly, and seek to get rid of it, whereas they yearn for the beautiful and aspire to make it a tangible reality in art and life alike.

III-This research paper seeks to achieve its goal depending on two parts:

- **The First of them** serves as a (Critical Introduction) in two sections:

١- On the relationship between literature and society (the inevitability of this relationship - the interest of modern criticism in it).

٢-The dominant doctrine in our Egyptian literature in the research stage, and in it:

A - "Realism": its concept in the West and its beginnings for us.

B - The battle of correcting our concepts of "Realism" in the last century.

C - "Existentialism" and responding to those who adopted it in our Egyptian environment.

D- The measure of the literary man's commitment and the critical and doctrinal controversy it raises.

- **The Second Part** is for the applied study on the poetry of the last century in two chapters... And in order not to search for too long here, I have postponed that part for the next issue, God willing.

Both parts are accompanied by conclusions, results and recommendations, the most important sources and references, and an index of topics.

And God intended the way, and from him is success

Keywords: Atilalatan overview,AlhamualiaijtimaeiuSocial Worries,Dhaakiratmemory,Alqarnalmadi the previous century, Alshieria poeticism.

تقديم:

١- بداية: هل نحن في حاجة إلى التقليب في صفحات الماضي، وتذكُّر بعض قضايا مجتمعنا[١] في شعر القرن الماضي؟ وما الذي يفيده القارئ من استعراض هموم ولّى زمانها، وانطوت صفحاتها؟!

إن الجواب على ذلك جِدُّ يسير: فالفرد منا – لا شك – في مراجعات مع نفسه، يستحضر أمسه، أو قل **يحاصره ماضيه في يومه**، ليفيد منه **في غده**، إنه دائما أمام حياته وتاريخ مجتمعه بين صفحات انكسار أو انتصار؛ ومصر من أغنى الناس تاريخاً، وأوفرهم حظاً من الأصالة والفكر والحضارة، يحفظ لها التاريخ والأدب هذه الأصالة، لذا نعود دائماً إلى التاريخ اهتداءً بإشراقاته، وبغيةَ تجنُّب تكرار إخفاقاته.. هذا من فوائد التاريخ، ومن ثمرات الأدب الذي اعتدّ التاريخ ببعضه كمصدر من مصادره.

٢- ولا شك أن المشكلات الاجتماعية على سيرورتها في الناس والمجتمعات – تختلف وتتمايز في الزمان والمكان، وقد يختفي بعضها وتظهر قضايا أخرى تستدعى على طريق الحلّ طرائق في التفكير، ومعازف من جيد التعبير؛ وحين نُذكِّر أجيالنا الحاضرة بما غاب عن ذاكرتهم من جبال الهمّ وكبار المشاكل في الماضي القريب – فإنما نهدف إلى تبصيرهم بشِرعة الحياة وتقلباتها وصراع البشر فيها، وأنّ **القبيح** مرذولٌ تعافه النفس، وتسعى للخلاص منه، وأن **الجميل** تهفو إليه النفوس وتطمح إلى أن يكون واقعاً ملموساً في الفن والحياة على السواء.

---

(١) واكبتها وأشبهتها أقطار عربية في بعض القضايا والمعالجات الشعرية، وشارك بعض شعراء المهجر في ذلك أيضاً، ولكن يقف بحثنا هنا على شعراء مصر، لما ابتُلوا به من همّ الريادة الاجتماعية والأدبية في آن.

٣- ومما **يسعى بحثنا هذا** إليه: بيان أنه ليس صحيحاً ما يُشاع حول شعراء (الديوان) و (أبولو) أو دعاة الذهنية أو (الرومانسية) في القرن الماضي – من أنهم أوقفوا وجدانهم حكراً على ذواتهم وهمومهم الخاصة، وأنهم انعزلوا بشعرهم عن قضايا مجتمعهم في الريف والمدينة على حدٍّ سواء، فالنظر في شعرهم يعكس اهتماماً بقضايا المجتمع، وعدم اعتزاله، **غاية الأمر** أن الشاعر منهم لا ينسى نفسه فيما يعرض له من قضايا، فذاته حاضرة، ومشاعره ممزوجة بموضوعه، بحيث نأسى مع الشاعر ونمتلئ حسرةً وإشفاقاً، ونهمُّ بتغيير هذا الواقع الفاجع المؤلم للشاعر والناس معاً.

٤- هذا ويسعى البحث نحو غايته معتمداً على **تمهيد نقدي** يشمل العلاقة بين الشعر والحياة، وجدلية هذه العلاقة بين النقد القديم، والنقد الجديد؛ ثم نعرض لهموم المجتمع في مرآة الشعر من خلال **فصلين، أولهما** يستعرض قضايا في النصف الأول من القرن الماضي، ويحللها فنياً، **والثاني** يعرض للقضايا بعد ثورة ٥٢ وما استحدث منها، وما جدَّ في طريقة تناولها.

٥- وعلى ذلك فالبحث سيكون – إن شاء الله – في حلقتين: **الحلقة الأولى (بين الأدب والمجتمع في ضوء المذاهب النقدية الحديثة)** بمثابة تمهيد نقدي، **في مبحثين** هما (المبحث الأول) – حول العلاقة بين الأدب والمجتمع، (المبحث الثاني) – المذهب الغالب على أدبنا في مرحلة البحث.

– وقد يكون من المقبول أو المُتصَّور لدى البعض – وربما لديّ أيضاً – أن يكون هذا المبحث قبل سابقه، **ولكنّا قدّرنا** أن علاقة الأدب بالمجتمع لها ديمومة في الزمان والمكان، وإن تقلبت بها المعايير والأحوال، فهي

أمــرٌ عــام طـرأ عليــه **(الخــاص)** مــن الأحـداث والأدوات والمـذاهب، ممـا استوجب أن نقف عليه كي يسهل تلقّي ما يندرج تحته من فنون الأدب.

– وهذا المبحث (حول الواقعية..) يثير عدة قضايا:

١– الواقعية.. مفهومها لدى الغرب.. وبداياتها لدينا.

٢– معركة تصحيح مفاهيمنا حول الواقعية في القرن الماضي.

٣– "الوجودية" والرد على من تبناها في بيئتنا المصرية.

٤– مقياس التزام الأديب وما يثيره من جدل نقدي ومذهبي.

أمـا **الحلقــة الثانيــة** مـن هـذا البحـث، فللدراسـة التطبيقيـة فـي فصـلين أشـرنا إليهما في هذه المقدمة.

فــالعنوان إذن ينــدرج تحتــه حلقتــان، ويغلــب علــى ظنــي أن تكــون الحلقــة الأولـى ضـمن هـذا العـدد مـن المجلـة، ثـم تـأتي الحلقـة الثانيـة فـي العـدد القـادم إن شــاء الله حتــى لا يطــول البحــث – مــن جهــة – ومــن جهــة أخــرى تهيئــة القـارئ – بعـد هـذه الخلفيـة النقديـة لأن يستشـرف مـا قدمـه لـه شـعراؤه حـول همومنـا وقضـايانا الاجتماعيـة فـي القـرن الماضـي، والتـي مـا يـزال بعضـها قيـد العلاج لارتباطها بحياة الناس وحركة المجتمع في كل زمان ومكان.

بعــد ذلــك تــنهض الخاتمــة بالنتــائج والتوصــيات، ليعقبهــا أهــم المصــادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

أ. د/ رفعت التهامي عبد البر

فبراير ٢٠٢١م

الحلقة الأولى

بين الأدب والمجتمع في ضوء المذاهب النقدية الحديثة

تمهيد نقدي

المبحث الأول – حول العلاقة بين الأدب والمجتمع

١-حتمية هذه العلاقة:

أ- الأدب في أوجز تعريف له هو التعبير عن الحياة، وما الحياة إلا انعكاس النظم والأوضاع على الأحياء في سلوكهم الاجتماعي، فإذا عبّر الأديب عن حياة فرد أو حياة جماعة في صورة فنية، فلا يستطيع أن يفصل بين هذه الصورة وصورة المجتمع الذي يحيا فيه الفرد أو الجماعة، وإلا كانت الصورة زائفة مكذوباً بها على الحياة والأحياء(١).

ودائما كانت العلاقة بين الأدباء ومجتمعاتهم مُمثّلة، بصرف النظر عن **تفاوت نسب ذلك التمثيل**، وكما وُجد الأديب الذي يتأثر ويؤثر في حركة مجتمعه وبيئته الخاصة – وُجد كذلك الأديب الذي يتأثر ويؤثر في حركة المجتمع الإنساني الكبير الذي يشمل أكثر من جنس ولغة وعقيدة، "وتأثير الأدب على قرائه يتفاوت تبعاً لنوعياتهم من حيث الثقافة والدُربة والقدرة على التذوق"(٢)، **وقد يصح أن نقول:** إنه يمكننا بالرجوع إلى أدب أمة ما الوقوف على جوانب هامة ومتعددة من حياتها، "ولا شك أد أدب كل مرحلة من مراحل التطور الإنساني لابد إذا كان صادقاً من أن يُعبر عنها، فيعطي صورة حقيقية لها، متحدثاً عن ما تهتم به، وما تنزع إليه"(٣).

---

(١) اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة – محمود تيمور ص ١٨٨.

(٢) نظرية الأدب ومناهج البحث الأدبي – د/ عبد المنعم إسماعيل ج ١ ص ١٩١.

(٣) حول الأديب والواقع – د/ عبد المحسن طه بدر ص ٢٦.

كما أن "الكاتب أو الشاعر عضو في المجتمع وفرد من أفراده، له علاقاته وروابطه ومكانته وموقفه، وهو يخاطب بفنه المجتمع ويعبر عن خفيّ مشاعره باعتباره أحد أفراد هذا المجتمع"(١)، وفي الأدب على اختلاف مذاهبه التي جاءت وليدة ظروف اجتماعية وتاريخية – **نجد صدى الحياة** وطبائع الأمة "فالقارئ للأدب اليوناني القديم، أو الأدب اللاتيني القديم إنما يطالع صورة للمجتمع اليوناني أو المجتمع اللاتيني، بغض النظر عن كونه أدباً كلاسيكياً، صورة تبين له خصائص ذلك المجتمع من جميع أوضاعه السياسية والاقتصادية والخلقية وعاداته الاجتماعية"(٢).

وينبغي أن نلاحظ أن من يدرسون الأدب دراسة اجتماعية لا يريدون أن يتبينوا فيه انعكاسات المجتمع فحسب، فتلك مسألة بديهية، **إنما يريدون** أن يتبينوا ما في بيئة الأديب من ظواهر اجتماعية ومدى تأثيرها في أدبه محاولين النفوذ إلى معرفة طبقة الأديب الاجتماعية التي ينتمي إليها وما عاش فيه من أوضاع اقتصادية ومدى استجابته لموقف طبقته وصدوره عنها في آثاره(٣).

ب– والأديب بما أوتي من شفافية وقدرة على التصوير والتأثير – يكشف أمام جماهيره الطريق الذي يسلكونه، حين يحرك في نفوسهم الإحساس بما هم فيه "فما يُسمّى استقلالاً أو حرية قد تتعشقه النفوس الكبيرة لذاته، وأما جمهرة الشعب فلابد أن **تُدفع إلى ذلك**، لابد أن توضع العلاقة بين هذه المعاني وبين المعاني المادية اليومية حتى يغضب الشعب لتلك المعنويات، وكذلك الأمر في الحركات الاجتماعية، فالبؤس المادي نفسه لا يحرك الشعوب بل يحركها الوعى به، **وفي الفلاح المصري شاهد على**

(١) فصول في الأدب والنقد والتاريخ – علي أدهم ص ٢٤١.

(٢) الأدب والمجتمع – محمد كمال الدين علي يوسف ص ٨١ من الشرق والغرب – عدد ٥٦.

(٣) البحث الأدبي طبيعته. مناهجه. أصوله. مصادره – د/ شوقي ضيف ص ١٠١.

ذلك، وعن الحقيقتين السابقتين والثابتتين: (إدراك العلاقة بين معنويات الحياة ومادياتها – وعى الفرد بما فيه من بؤس) **عنهما تصدر وظيفة الأدب الاجتماعية** من حيث إنه محرك لإرادة الشعوب"[١]. ولكن الأدب لم يكن دائما ملتحما بالجماهير معنيا بقضايا الشعوب، فقد ركن أحياناً إلى الأمير أو الوزير يمدحه ويشيد به... ومع ذلك فإن "هذه العلاقة بين الكاتب والشاعر وبين الأمير والطبقة العالية أو بينهما وبين القراء وسائر أفراد الشعب هي التي تجعل الأدب شديد الارتباط بأحوال المجتمع يسمو بسموه ويهبط بهبوطه"[٢]. **فالعلاقة لا تنعدم وإن تغير شكلها واختلفت طريقتها**، فسواء أصدر الأدب باسم طبقة أو قبيلة أو حاكم أو أمير أم صدر باسم القاعدة العريضة أو المجموع فالعنصر الاجتماعي موجود. وقد يقال إن بعض الفنانين يعزلون أنفسهم إرادياً قدر جهدهم عن الإطار الاجتماعي الذي يعيشون فيه، وتتمثل هذه الفكرة في أقصى صور تطرفها فيما يسمى "بالبرج العاجي" للفنان أو الأديب، ومثل هذه الفكرة **مردود عليها** بأن الفنان حتى وهو في عزلته يمارس علاقة جدلية من التأثر والتأثير مع واقعه عن طريق المخيّلة[٣]. والكاتب مهما بلغت أصالته وعبقريته لا يسعه التخلص من آثار البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها[٤].

ويربط علي أدهم بين هذه الحقيقة ونقد العمل الأدبي فيقول: "والكاتب مهما أوتي من القدرة والتفوق لا يستطيع أن يتخلص تخلصاً تاماً من أحوال عصره وقيود زمنه، والناقد المنصف المستنير هو الذي ينظر إلى الشاعر أو الكاتب في إطار عصره[٥].

---

(١) في الأدب والنقد – د/ مندور ص ٣٦– ٣٧.

(٢) فصول في الأدب والنقد والتاريخ ص ٢٤٥.

(٣) الروائي والأرض – د/ عبد المحسن طه بدر ص ٢٥ من المقدمة "الأديب والواقع".

(٤) حيرة الأدب في عصر العلم – عثمان نويه ص ٥٠.

(٥) فصول في الأدب والنقد والتاريخ – علي أدهم ص ٢٤٦. د

٢- النقد الحديث واهتمامه بتلك العلاقة:

أ- يتصل بهذا التوجّه النقدي – في مرحلة البحث – دعوة البعض إلى الاهتمام بالعلاقة بين الشعر والحياة، والاعتداد بها في تقويم الشعر، **ويَعتِب** على النقد القديم في تغليبه القيم الجمالية على حساب القيم الاجتماعية والإنسانية في نقد الشعر، حيث يقول: "كل من يراجع تفكيرنا القديم في الشعر يدرك أن الوعي بالدور الاجتماعي له لم يشغل أحداً من النقاد بحيث يفرض عليه هذا الوعي تقدير القيمة الاجتماعية للعمل الشعري الذي يتحدث عنه إلى جانب القيم الجمالية التي كانت تظفر منه بأكبر اهتمام. وليس معنى هذا بالضرورة أن هذا الشعر القديم كان منفصلاً عن قضايا الناس الحيوية ومشكلاتهم الاجتماعية، فالشعر الصادق – مهما كان تعبيراً ذاتياً عن صاحبه – إنما يمس من قريب أو بعيد ظروف الحياة التي تعيشها الجماعة، سواء أكان الشاعر نفسه على وعي بهذه الحقيقة أم لم يكن"(١)، وتأكيداً منه على أن الميزان قد مال على حساب القيم الاجتماعية في نقد القدماء للشعر – يقول أيضاً: "كانت القيم الجمالية الصرفة هي شغل النقاد الشاغل، فكانوا يحاسبون الشعراء عليها، متتبعين في ذلك مواطن إجادتهم، محصين عليهم أخطاءهم وعيوبهم، فإذا هم تجاوزوا القيم الجمالية إلى القيم المعنوية كان موقفهم من المعاني انعكاساً لموقفهم الجمالي كذلك، فكانوا يحاسبون الشاعر على صحة المعنى في ذاته أو خطئه، وعلى ما فيه من ابتكار أو ما فيه من اقتفاء لمعنى سابق أو تأثر به، ثم يزنون المعنى أخيراً في حدود العرف والتقاليد"(٢).

---

(١) الشعر في إطار العصر الثوري – د/ عز الدين إسماعيل ص ٣- ٤.

(٢) السابق. نفسه ص٤.

ونحن معه في أن الشعر حمّالٌ لقيم اجتماعية وفكرية وإنسانية في كل العصور، **لكن علينا أن نتنبه إلى** أن النقد القديم لدينا – حال استقرائه[1] غنيٌّ باللفتات الاجتماعية والنفسية، وانعكاسات واقع الناس وآلامهم وآمالهم على صفحات الشعر والأدب عموماً؛ **أيضاً نقول:** إن النقاد لا يُلامون – في أي عصر – إن هم اهتموا بالقيم الجمالية في العمل الأدبي، وجعلوها في الصدارة، فهي التي تضمن للعمل الأدبي الحياة في الناس، وبالتالي ما يحمله العمل من قيم وقضايا أياً كانت، ولولا حراسة النقد لروعة الأدب وبهائه لاندثر وعافته النفوس والألسنة؛ ولكنه لروعة أدائه مازال يغرينا بمعاودة الطرح والبحث.

لذا يعود ناقدنا مُلطفاً حكمه السابق فيقول: "وهذا الموقف ينطبق على القدر الأعم الأغلب من التفكير القديم في الشعر، وإن كان في الشعر القديم نفسه قصائد لها وزنها، بل لها خطورتها من وجهة النظر الاجتماعية، فنحن عندما نقرأ شاعراً مثل المتنبي أو أبي العلاء لا نملك إلا أن نحس بالتفاعل القوي بين الشاعر وظروف المجتمع العربي في عصره، وأثر هذا التفاعل في شعره، متمثلاً في موقفه في هذا المجتمع، وتعبيره عن أزماته، **هذا ما يمكن أن نصنعه نحن اليوم:** فيكون تقديرنا لشعر المتنبي واحتفاؤنا به لا مجرد تقدير لمقدرة الشاعر الجمالية في مجال الصياغة اللفظية أو المعنوية، كما صنع النقاد القدامى، بل يدخل في حسابنا كذلك تلك القيم الاجتماعية والإنسانية التي عبر عنها الشاعر، هذا الاختلاف بين موقف النقد الحديث وموقف النقد القديم إنما يرجع إلى تطور نظرتنا إلى الشعر وتفكيرنا فيه، وتفهمنا لدوره الحيوي في الحياة"[2].

---

(١) راجع كتابنا: النقد الأدبي العربي القديم تطوره وقضاياه – دار النشر الدولي بالرياض.

(٢) الشعر في إطار العصر الثوري – د/ عز الدين إسماعيل ص ٤– ٥.

ب-ودعماً لعلاقة الأدب بالحياة والمجتمع – برز المنهج التاريخي، والمنهج النفسي، ضمن مناهج دراسة الأدب ونقده، واستفاضت الدراسات التي استعانت بهذا أو بذاك، وعني علم الاجتماع بالأدب وهذا أحد المشتغلين بذلك يقول "إن دراسة الأدب لا يمكن أن تكون كاملة بغير الاستعانة بالعلوم الإنسانية الأخرى وأهمها علم الاجتماع وعلم النفس"(١)، وما ذلك إلا لغلبة الأدب الاجتماعي – في مرحلة البحث – وتعدد قضاياه.

- وتبارت أقلام الأدباء والمشتغلين بالأدب في الدعوة إلى معايشة قضايا المجتمع من خلال الأدب، **من ذلك** أن الأستاذ أحمد أمين قد دعا إلى **الاتجاه الاجتماعي في الأدب** حين قال في سنة ١٩٤٤ حول مستقبل الأدب العربي "يجب أن يتجه الأدب العربي من جديد – بقوة ووفرة – إلى النزعة الاجتماعية حتى يعوض ما فاته، فإن مستقبل الأمة العربية وحاضرها في أشد الحاجة إلى الأدب الاجتماعي لينهض بها، وإن علينا أن نحذو في أدبنا حذو "برنارد شو" الإنجليزي و"أناتول فرانس" الفرنسي و"تولستوي" الروسي، ممن وقفوا أدبهم على خدمة المجتمع وإشعاره بعيوبه، واستثارته إلى التسامي"(٢).

- كما وجدنا من يستنكر من الأديب أن يعطي ظهره لحركة مجتمعه وأحداث وطنه، فيقول: "وكيف يكون الكاتب مخلصاً في استيحاء الحياة من حوله إن هو صمّت أذنه دون انبعاث قوي في مجتمع يعيش بين ظهرانيه؟ ما أهون أن يكون الأديب معدوداً من أهل عصره بتاريخ ميلاده لا بما يحمل أدبه من معالم تضعه حيث وضعته الأيام من أحداث وطنه

(١) التحليل الاجتماعي للأدب – السيد ياسين ص ١٦٦.

(٢) مجلة الثقافة – ١٩٤٤/٤/٤م.

في ذلك التاريخ، فليكن الكاتب حيث هو من وطنه ومن زمنه، ولكن لا يفرض على نفسه شيئاً ولا يتخذ من قلمه بوقاً"(١).

- وكذلك رأينا من يهيب بالشاعر أن يتقدم نحو قضايا أمته ويشارك أفرادها مسيرة الحياة، حيث يقول: "الشاعر يجب أن يكون صدى للعواطف الاجتماعية والوطنية والقومية والإنسانية العالية في بيئته، فيكون مع الفقير نشيداً جميلاً يدعوه إلى الأمل ويدعو سواه إلى الرحمة به، ومع كل من العامل والصانع والزارع قوى محركة تدعوه إلى الإنتاج، وتدعو الأمة إلى مكافأته على إنتاجه، ومع اليتيم إنسانية رحيمة تعطف عليه وترأف به وتتيح له الفرص التي كان حظه سيتيحها له لو بقي له أبواه، ومع الفتاة ملاكاً كريماً وحظاً باسماً يأخذ بيدها إلى الحياة السعيدة والزوجية المثمرة، ومع كل إنسان في المجتمع صديقاً وفياً وأخاً حنوناً وأباً عطوفاً. **وبذلك يصبح الشعر عاملاً من عوامل التقدم** وسبباً من أسباب النهوض والارتقاء"(٢).

ج- على أن حرارة التجربة، وصدق العاطفة، وجودة الفن – أشياء ضرورية لدى من ينخرط في مشكلات عصره وقضايا مجتمعه، فطبيعة الفن حاضرة مع أي موضوع... ويعرض البعض لتفصيل ذلك فيقول: "إن انهماك الشاعر في قضايا عصره، وتفهمه لمشكلات الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه – مهما ارتبطت هذه المشكلات بظروف وقتية، أو مهما تكن مشكلات محلية خاصة – **لا يناقض طبيعة الشعر في شيء**، فنحن نتطلب في الشاعر حصيلة وافرة من الثقافة والخبرة فضلاً عن حس مرهف، وادراك سليم للأمور، ودقة في ملاحظة الحياة في تطورها

(١) محمود تيمور – الأدب الهادف ص ٦٥.

(٢) دكتور خفاجي – الشعر والتجديد ص ٤١.

الظاهري والباطني. وهذه الميزات التي نميز بها الشاعر والفنان بعامة لا يمكن أن تتحقق لإنسان يعيش في عزلة نفسية عن قضايا مجتمعه ومشكلاته، فإذا تحققت هذه الميزات لشاعر فإنها حرية أن تشده إلى هذه القضايا والمشكلات شدّاً، لأنها عندئذ ستصبح كذلك قضاياه ومشكلاته الخاصة. والشاعر الحق – في رأيي – لا يستطيع **أن يعيش بضميرين،** ضمير مع نفسه وضمير مع الناس، وإنما يواجه الأديب الحق نفسه ومجتمعه بضمير واحد، لأنه سرعان ما يحس أن **مشكلاته الخاصة لا تنفصل عن مشكلات الناس،** بل إنه لحريٌّ أن يدرك أن مشكلات الناس هي المحور الحقيقي لكل معاناته(١).

- وهكذا نرى كيف أصبح الأدب الاجتماعي اتجاهاً متميزاً في أدبنا المصري الحديث خلال مراحل التحرر والنهوض في القرن الماضي.

(١) د/ عزالدين إسماعيل – الشعر في إطار العصر الثوري ص ٨– ٩.

المبحث الثاني

المذهب الغالب على أدبنا في مرحلة البحث

مشكلات هذا المبحث وهمومه:

- حتى نكون على بينة مما نقول حول (الأدب والمجتمع) – علينا أن نفهم أبعاد (الواقعية) كمذهب يتبنى قضايا الإنسان وهمومه وتحولاته الاجتماعية، أقول (نفهم) الكلمة.. المذهب لدى أصحابه ومؤسسيه في الغرب، **ثم نقف** على ما اكتنفه من فهم خاطئ لدى بعض المتحمسين له بعد ثورة ١٩٥٢م، بعد ذلك نعالج قضية "الالتزام" في الأدب.

- ومما يسعى هذا المبحث لمناقشته واثباته: أن الشعر الذي يكتسب عناصر القبول ويمتلك مقومات البقاء والذيوع – إنما هو الشعر الصادر عن حس صادق والتزام حقيقي، وفرق كبير بين الالتزام والالزام "ففي الالتزام يتخذ الفنان موقفه من خلال ممارسته لحرية الاختيار، في حين أن الالزام يفرض عليه الموقف من الخارج فرضاً، وحين يكون فرض لا يكون فن"(١).

- وإذا كان النثر أرحب مكاناً لالتزام الأديب بما يتيح من وسائل عرض الأفكار ومحاولة ترسيخها في نفوس المتلقين – فإن الشعر قد أثبت على مر العصور امتلاكه – على يد كبار الشعراء – ناصية الالتزام وإحياء القيم الاجتماعية والفكرية والإنسانية، والدفع بالمجتمعات نحو عالم أفضل.

- وعلى ذلك **فهذا المبحث يثير عدة قضايا** نعرضها على النحو التالي:

أولاً– "الواقعية".. مفهومها لدى الغرب.. وبداياتها لدينا.

ثانياً– معركة تصحيح مفاهيمنا حول الواقعية في القرن الماضي.

ثالثاً– "الوجودية" والرد على من تبناها في بيئتنا المصرية.

رابعاً– مقياس التزام الأديب وما يثيره من جدل نقدي ومذهبي.

---

(١) السابق ص ٣٤.

أولاً- "الواقعية".. مفهومها لدى الغرب.. وبداياتها لدينا:

١- يمكن القول بأن المذهب الذي غلب على أدبنا – قبيل ثورة ١٩٥٢ وبعدها – إنما هو **المذهب الواقعي**، وهذا المذهب ذو وجهين مختلفين: **أحدهما** المذهب الغالب على أدبنا – منذ أربعينيات القرن الماضي – إنما هو المذهب الواقعي , وقد مر الحديث عنه وأنه ذو وجهين مختلفين أحدهما الغربي (الفرنسي) المتشائم الذي تزعمه (بلزاك) ويشبهه ما كان قائما في روسيا قبل ثورتها الأخيرة سنة ١٩١٧ حيث كانت – كما يقول د. فرهود: "واقعية ثورية سلبية متشائمة وكانت بمثابة احتجاج على الواقع الذي اكتنفها"[١]ويقول عنها الدكتور مندور "إنها في روسيا قبل الثورة لم تكن واقعية يأس وقنوط واستسلام للشر وطغيانه واعتقاد بأنه أصيل في البشر ولا سبيل إلى الخلاص منه بل كانت واقعية ثورية حتى في تشاؤمها فهو تشاؤم ثورة لا يأس وهو حث لا استسلام[٢]. أما **الوجه الثاني للواقعية**، فهو الواقعية المتفائلة أو (الواقعية الاشتراكية) التي ظهرت في روسيا، وخلاصتها أنها " أدب يهدف إلى تغليب عامل الخير والثقة بالإنسان وقدرته وإن كانت تتخذ مضمونها من حياة عامة الشعب ومشاكله إلا أن روحها روح متفائلة تؤمن بإيجابية الإنسان وقدرته على أن يأتي بالخير وأن يضحي في سبيله بكل شيء في غير يأس ولا تشاؤم ولا مرارة مسرفة "[٣].

هذا وقد انتشر المذهب الواقعي في هذا العصر ودانت به معظم البلدان كل في ضوء ظروفه ومفاهيمه العامة ولذا رأينا البعض يطلق على ذلك مصطلح **(الواقعية الحديثة)** ويتحدث عنه فيقول "ولعل المذهب الأدبي

(١) المذاهب النقدية الحديثة – د/ فرهود ص ٧٩.

(٢) جولة في العالم الاشتراكي – د/ مندور ص ١٠١.

(٣) الأدب ومذاهبه – د/ مندور ص ١٠٥.

الـذي يصـور التيـار الفكـري العـام فـي عصـرنا الحاضـر هـو مـذهب الواقعيـة الحديثـة وكمـا كـان المـذهب الـواقعي فـي القـرن التاسـع عشـر وليـد التـأثر بالتقـدم العلمـي والمنحـى التجريبـي فـي المعامـل والمختبـرات جـاءت الواقعيـة الحديثـة متـأثرة بتطـور العلـم الـذي حطـم الـذرة ليجعـل منهـا طاقـة لنفـع البشـرية وهـي كصـنوها المـذهب الـواقعي تـنهض علـى **اسـتلهام حقـائق الحيـاة الماثلـة وتصـويرها ومعالجتهـا** فـي وعـى وصـدق إلا أن **الواقعيـة الحديثـة تختلـف اتجاهاتهـا ومناحيهـا بـاختلاف الواقـع فـي كـل بلـد** فهـي فـي إيطاليـا عـرض للمشـكلات دون تعـرض لمـا يعـن للفكـر مـن حلـول , وفـي فرنسـا تصـوير لنزعـة الاسـتخفاف بمـا يعـج بـه المجتمـع مـن مشـكلات , وفـي الـبلاد التـي تواضـعت علـى نظـام سياسـي واقتصـادي خـاص تجميـع للأفكـار وبعـث للقـوى وتوجيـه للعـزائم حتـى تعـين علـى خلـق المجتمـع الجديـد ومـن ثـم سـميت الواقعيـة الحديثـة فـي أمثـال تلـك الـبلاد **بـالأدب الهـادف** أو **الأدب المجنـد** أو ما يشبه ذلك من الأسماء"(١).

٢- أمـا عـن الواقعيـة كمـذهب علـى سـاحتنا الأدبيـة – فإنـه قـد تهيـأ لهـا الظهـور بمصـر مـع قيـام الحـرب الثانيـة وبعـدها حيـث وجـد النـاس أنفسـهم مشـدودين إلـى التفكيـر فـي الواقـع المعـاش والتعبيـر عنـه أكثـر مـن أي وقـت مضـى فقد صـارت واقعيـة فـي الفكـر وفـي الأدب معـا، أمـا فيمـا قبـل ذلـك فلـم تكـن هنـاك مـؤازرة أو مصـاحبة بـين الكتابـات الفكريـة والروائـع الأدبيـة التـي تقـع جميعـا تحـت كلمـة "الواقعيـة " بـل يمكـن القـول بأنـه قـد كـان هنـاك كبـت لأي حـديث يمـس الواقـع المصـري الـذي كـان يحـرص علـى اسـتمراره المحتلـون والمصـريون المنتفعـون ببقائـه. "**ففـي المرحلـة السـابقة لحركـة**

(١) الأدب الهادف محمود تيمور ص ٢٨ – ٢٩ ولنا بعد ذلك عود لمناقشـة الواقعية في أدبنا المعاصـر وخاصـة بعد ثورة يوليو وما نشـأ عنها من فكرة الالتزام، والفرق بين الالتزام الوجودي والالتزام الواقعي.

الرومانسية التي طغت في الثلاثينيات انحسرت الكتابات الواقعية التي انطلقت عن قلة من غير الأدباء مما جعله في الأدب والفن كالنبت الشاذ الشيطاني الذي ظهر في بيئة ليست له وليس لها، فكان هناك انفصال بين واقع الأدب وواقع السياسة والمجتمع والفلسفة والصحافة، وأيضا فكل كتابات المفكرين نبعت من الغرب ولم تنبع من واقعنا المصري"[١]. أما بعد الحرب الثانية فقد سادت الواقعية مدعمة بالثورة في ١٩٥٢ ومستمرة معها[٢]. فمع التحول الثوري الجديد للمجتمع بدأت دعوة **(الفن للحياة)** أو **(الفن للمجتمع)** تتحقق في ميدان الأدب بصورة عملية وبدأ الفنان يندمج بروحه وفكره في هذا الواقع يعاني فيه ما يعانيه الآخرون ويعبر عن هذه المعاناة على نحو كاشف[٣].

وطبيعي أن نفهم أن مؤثرات خارجية، وأخرى داخلية – كانت وراء هذا التحول إلى الواقعية والاهتمام بمشكلات الناس بعد الحرب الثانية، **فعلى الصعيد الخارجي** نلحظ – مع الدكتور القط – اطّلاع الأدباء "بصورة لم تعهد من قبل على الآداب الأوربية التي تعبر عن مجتمعات تطورت فيها تلك المشكلات التي نواجهها في مجتمعنا تطوراً كبيراً، فاتضحت معالمها، وقوى وعي الناس بها، وأخرج حولها الأدباء الغربيون نماذج رائعة من الأدب الواقعي[٤]، **وعلى الصعيد الداخلي** نرى – مع الدكتور مندور – أن الاتجاه الواقعي الاشتراكي ما هو إلا رد فعل طبيعي لانعزال الشعراء الرومانسيين عن المجتمع وهروبهم من تحمل مسئولياتهم السياسية

---

(١) في الرومانسية والواقعية – د/ سيد حامد النساج ص ١٣٣– ١٣٥ بتصرف.

(٢) السابق ص ١٣١.

(٣) الشعر في إطار العصر الثوري – ص ١٩– ٢٠ بتصرف.

(٤) في الأدب المصري المعاصر – د/ عبد القادر القط ص١١٩، وانظر حول سيادة الاتجاه الواقعي بعد الحرب الثانية كتاب: الأدب والحياة د/ ماهر فهمي ص ٦٦– ٦٧.

والاجتماعية، وتنصُّلهم من تبعة الالتزام بآراء محددة في معركة الحرية والحياة، مما أدى إلى ظهور التيار الاشتراكي الذي هو في حقيقة أمره عودة إلى **الاتجاه الاجتماعي الكلاسيكي** مع اختلاف التطبيق، فالدعوة الجديدة السائدة (وقتها) عند شعرائنا الشبان قد تُسمّى بالدعوة إلى الواقعية أو إلى الموضوعية أو إلى الواقعية الاشتراكية، ولكنها في الواقع لا تخرج عن أن تكون الدعوة إلى الاتجاه الذي كان سائداً عند التقليديين، وإن أفسدوه عند التطبيق..!(١)

والمهم أن الثورة على الظلم الاجتماعي قد تحولت من أحزان رومانتيكية غامضة ومدن مثالية هروبية إلى عقيدة واضحة، وأصبح الإنسان الاشتراكي "محارباً يملك سلاحاً قوياً في يده، وأصبح قادراً على أن يكون إيجابياً، وعلى أن يغير العالَم الذي لا يعجبه"(٢).

٣- **وعلى ذلك خرجت كتابات أدبية تساير هذا المتجه الجديد:** منها ما استقام على الطريق وعرف أن للأمة واقعها الخاص بها وأسلوبها المعشوق لدى قرائها، ومنها ما شط وغالى في فهم الواقعية وتصور البعض أنها تبيح له كل شيء وتسمح له بالخروج على قواعد الفن المقررة.. **وهذه نظرة خاطئة ومرفوضة** لا من نقادنا ومتأدبينا فحسب، بل إنها مرفوضة عند فلاسفة الواقعية ومؤسسيها كذلك.

ويتضح ذلك بالرجوع إلى أسس الواقعية عند الأجانب أنفسهم حتى يتفهم الحقيقة على وجهها الصحيح من أخذها من وجه باطل، وأيضا فإنه إذا جاز لنا أن نحاكي أدبا أو نقتبس منه فمن الطبيعي والواجب أن يكون ذلك بالنظر إلى أصوله المرتضاة وصوره المنتقاة لا إلى أطواره المتحللة أو

(١) قضايا جديدة في أدبنا الحديث – د/ محمد مندور ص ٧٩– ٨٠.

(٢) أدب وعروبة وحرية – رجاء النقاش ص ٩١.

نهاياته العاجزة.. "**الواقعية في أساسها النظري:** تتمسك بالفن وتأبي أن تفرط في شيء منه كما تأبى عرض الأحداث بغرض تبريرها أو رفضها, وكانت تري الحيدة والاكتفاء بعرض الواقع كفيلا بالتغيير المنشود, وهذا ما كانت عليه الواقعية الروسية قبل الثورة البلشفية فلم تكن تصرح بالحلول لما تعرضه من مشكلات أو تلجأ إلى محاولة التأثير على القارئ **قال إنجلز** "أعتقد أن الاتجاه يجب أن يبرز من الموقف ومن العمل نفسيهما دون أن يصاغ صياغة صريحة وليس على الشاعر أن يقدم الحل التاريخي جاهزا لمستقبل الصراع الاجتماعي الذي يصفه"(١)، أما أن يفصح الأديب عن الهدف ويصدر عن نظرية متخيلة سابقا فإن "هذا الاتجاه يحيل الواقع دون مراء إلى فكرة مثالية ويشوهه ولا تصبح الأعمال الفنية مرآة تعكسه ولكنها تصبح تعليلا له، والكاتب يغدو دار وكالة أو وساطة لتزييف الواقع وتأييد وجهات نظره وتبرير آرائه. لقد حارب فلاسفة الواقعية هذا الاتجاه لأنه يقضي على الحقيقة وعلى المميزات الفنية للعمل الأدبي"(٢).

٤- **وفنية العمل وثراؤه الأدبي والفكري تقف حتما إلى جوار خدمة الواقع الاجتماعي عند الواقعيين** "فالفلاسفة الواقعيون لا يرفضون القصة ذات الرسالة "بمعني الكلمة السامي" ولا يرفضون الشعر والتمثيل الدرامي الملقح بالآراء السياسية والاجتماعية، ويدل على ذلك كل ما بذلوا من جهد في سبيل تنشيط الشعر الثوري والأدب الثوري، إنهم يتطلبون من الكاتب أن يكون واسع المعرفة بعلوم التاريخ والاقتصاد السياسي والاجتماع، وأن يكون بعيد النظر متمكنا من مصادر علمه ومن صدق حكمه وأن تكون له أستاذيته في مهنته تؤهله للاضطلاع بدوره دور الموقظ والمرشد، لقد

(١) الأدب والفن في ضوء الواقعية – فريفيل، جون / ترجمة محمد مفيد الشوباشي ص ١٢٦.
(٢) السابق ص ١٢٦– ١٢٧.

كانوا يعدون إمداد الطبقة العاملة بكتابات دون مستوى الكمال جريمة ويرفضون أدب الدعاية العاطل من الفن وعبارات الإقناع التي تحل محل تصوير الحياة والكروكي الذي يضلل ويورث الفقر والعقم، فالآراء السياسية لا تستطيع في نظرهم أن تقوم مقام الموهبة الفنية وكذلك لا يكفي الشعور المحمود والاعتقاد السليم للتمكين من تحبير الكتب الجيدة إذ يجب أن يتفجر العمل الفني من الواقع الاجتماعي وينسج من الحياة **ولكنه لا يصمد ويهيمن إلا بقيمته الفنية التي ترتكز على كل من ثراء المضمون وحسن الختام وتألق الشكل**، كان الفلاسفة الواقعيون ينقبون بحثا عن هذه القيم الفنية , كانوا بعيدين عن التهوين من شأن المبادئ التي أوضحوها وعن وضعها في مرتبة ثانوية فقد تشددوا في رفع شأنها وإكباره"(١).

وهكذا كانت الواقعية في مفهوم **المؤصلين لها في الغرب**، فهي إنشاء فني راق وفكرة عميقة وتصوير للواقع في نزاهة وحيدة.

ثانياً- الواقعية.. ومعركة تصحيح مفاهيمنا حولها في القرن الماضي:

بعد أن عرفنا هذا التأصيل لمعنى الواقعية لدى الغربيين - نري كيف شقت طريقها إلينا وكيف اختلف حول: أي نوع منها نطبق.. وهل يجوز أن تتعدى واقعية المضمون إلى واقعية في الشكل أم لا؟ وعلى أي صورة يكون الأديب الواقعي الجديد؟ **أشياء كثيرة لكن بعضها هو ما يجب أن نقف عليه من خلال ما يلي:**

١- بدأت الواقعية في أدبنا "تقليدية" بمعنى أنها "تهتم بالأفراد من حيث كونهم أفرادا دون العناية بواقع الجماعات وكانت الغاية التي يسعى إليها فكر هذه الواقعية هي إبراز وجهة نظر خاصة لا تهدف إلى التغيير

---

(١) السابق ص ١٢٨- ١٢٩.

الشامل في البنيان الاجتماعي ولا تقوم على فلسفة ترتبط بإرساء دعائم جديدة تقوم على أساس اجتماعي أو فلسفة اشتراكية[1]. وبالطبع فإن وجود الاستعمار والإقطاع والرأسمالية وكبت الحريات قبل الثورة جعل المسألة لا تخرج عن مجرد عرض لمشاكل وسلوك ذلك المجتمع الشخصي أما أن يكون للأدباء قضايا فكرية ثورية معينة تهدف لتغيير المجتمع فلا"[2].

٢- وقد تحمس فريق من المصريين للواقعية التي سادت في روسيا الثورة فمنهم من أطلق عليها "الواقعية الاشتراكية" كالشوباشي وسلامة موسى, ومنهم من أسماه (الواقعية الجديدة) كمحمود أمين العالم وغائب طعمه وحسين مروة, ورأوا أن المجتمع المصري الجديد – وبخاصة بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ – إن يكن في حاجة إلى مذهب أدبي وفني فإنه في أشد الحاجة إلى "الواقعية الاشتراكية " كما حدث في روسيا تماما بعد الثورة، واعتبروا تحول الفنان من "الواقعية الفنية " إلى "الواقعية الاشتراكية " خطوة إلى الأمام والعكس ردة إلى الوراء كذلك فإنهم لم يعيروا "الواقعية الفنية " التفاتا ليس جهلا بها ولكن حبا عارما للواقعية الاشتراكية , ورفض كل شيء في الفن أمر لا يقره منطق كما أن التعصب الأعمى لشيء واحد تعسف لا يقبله الواقع ولا يتفق مع سنة التطور ففي داخل الشيء الواحد جوانب قوة وجوانب ضعف وهكذا!! "[3]. وهذا التيار – تيار سلامة موسى وصحبه – معروف أمره في اللغة والأدب حيث الافتتان بكل غريب حتى ولو كان ذلك على حساب أهم مقومات العروبة والإسلام وهو اللغة وأصولها.. وهذا سر معارك الرافعي مع سلامة موسى وغيره.. , وقد فات من يلحون على الالتزام بواقعية معينة أن "الواقعية تختلف باختلاف

(١) الاتجاهات الفكرية في الأدب المسرحي – د/ مصطفى علي عمر ص ٢٤٥.

(٢) السابق ص ٢٤٢.

(٣) في الرومانسية والواقعية ص ١١٥- ١١٦.

كـل بيئـة وتتبـاين بتبـاين الأنظمـة الاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسـية وغيرها"(١).

٣- وبرغم الـدعوة الملحـة إلى التزام الخط الاشـتراكي في الأدب أو الواقعيـة الاشـتراكية في الأدب (كما هي في روسيا) **فإن الواقعية النقدية** قد استمرت عندنا لمرحلة زمنية بعد قيام ثورة ١٩٥٢ وذلك لأن الثورة لم تغير الوضـع القائم وتقضـى على المفاسد والمظالم بين يوم وليلة، بل إن الثورة الاجتماعية لم تتبلور أو تبدأ إلا حين صـدرت القوانين الاشـتراكية في يوليو ١٩٦١ فقد شـغل الثورة أمر التحرير ومعركة الجلاء عن معركة الرخاء والإصـلاح الاجتماعي بدرجة ما.. بل إن الوضـع قد ظل قسمة بين المعركتين التحرير والبناء والرخاء حتى الآن.. المهم أن الرواسـب والمشـكلات العاتية لا يمكن أن تختفي من السـاحة المصـرية سـريعا أو تزول آثارها إلا بالتدرج وهذه سمة التطور.. ولذا فقد راح الكثير من الكتاب يدبجون القصص والمسرحيات حول الماضي القريب ليكشفوا عن فساد ومظالم يحسون أنها لا تزال مستمرة، ولكنهم يحرصون على إظهارها في ثوب الماضي تاركين للقراء أن يقولوا كلمتهم فيما إذا كنا قد تخلصـنا منها نهائيا أم مازلنا في حاجة إلى مزيد من الجهد الثوري للقضاء عليها.

وقد قال الدكتور مندور بعد خمس سنوات من قيام الثورة "إن وضعنا الراهن لا يبيح لنا أن ندعو إلى التفاؤل المطلق وأن نصدف عن واقعية النقد والكشف عن نقائض النفس وأوضـارها وما دام مجتمعنا لا تزال فيه الشـخصـيات الفاسـدة أو السـلبية أو الانهزامية فإنه من الحمق السـكوت عنها أو لوم من يصـورونها من أدبائنا وفنانينا وذلك بحكم أنها لا تزال جزءا من واقع حياتنا وإنكار الواقع لا يمحوه ومن باب أولى لا يمحوه الصمت عنه.. "(٢).

---

(١) بين المطرقة والسندان – محمود تيمور ص ١٦٧– ١٦٨.

(٢) جولة في العالم الاشتراكي ص١٠٢.

إلـــى جــوار المشــكلات القائمـــة أو الموروثـــة قــد جــدت مشــاكل واســتحدثت قضـايا، ولـذا فـالأمر بعـد الثـورة قـد يكـون قسـمة بـين الواقعيـة العربيـة "النقديـة " والواقعيـــة العربيـــة "الاشـــتراكية " أو المتفائلـــة التـــي تشـــغل بالحاضـــر وتبشـــر بالمسـتقبل، وقـد يكـون غيـر ذلـك مـن مـذاهب تخـتلط فيهـا روافـد عـدة بعضـها من الخارج وبعضها من الداخل ومن الواقع العربي والإسلامي.

٤- **ووجـه آخـر مـن وجـوه الاخـتلاف** قـام بيننـا حـول مراعـاة "الجانـب الفنـي" فــي الأدب الــواقعي ". والزيــات رحمــه الله فــي العديــد مــن مقالاتــه – يُعـدّ فــي طليعـــة مـــن شـــرح للمتطـــرفين معنـــي الواقعيـــة شـــكلا وموضـــوعا وأفهمهـــم أن الواقعيـــة تنـــافي الجفـــاف والحرفيـــة والهلهلـــة، ففـــي مقالـــه "بـــين الواقعيـــة والكلبيـــة"[1]نجــده ينبــه الغــافلين أو المتغــافلين إلـــى أن "الـــواقعيين يشـــترطون (الفنيـــة) فـــي المـــذهب، فـــلا يخرجـــون علـــى قواعـــد اللغـــة ولا يتمـــردون علـــى قـوانين البلاغـة، ولا ينقلـون عـن الطبيعـة نقـل المصـور الفـوتغرافي يقـف عنـد جهد الآلة ولا يضيف إلى الصورة نوراً من فكرة ولا لوناً من خياله".

كمـا يقـرر أن "الواقعيـة تكـون فـي الموضـوع لا فـي الشـكل وهـذا عنـد زعمـاء وأســاطين الواقعيـــة (فلـــوبير وبلـــزاك وموباســـان وزولا..) ومـــع اعتمادهـــا علـــى الحقـائق (لكـن مـن الصـحيح أيضـا أنهـا مـن حيـث الصـورة لا تقـص أجنحـة الخيـال ولا تطفـئ ألـوان الحـس) وهـي تصـوير للناحيـة الـدنيا مـن حيـاة الشـعب الكـــادح.. لكنهـــا ليســـت (الانطـــلاق مـــن كـــل قيـــد والتنكـــر لكـــل عـــرف

(١) في ضوء الرسالة – أحمد حسن الزيات ص ٦١ "والكلبية مذهب فلسفي إغريقي ق٤ ق. م يدين بالتقشف والمثالية، وسمى بذلك لأن أصحابه كانوا يحملون على عابري السبيل بالتهكم اللاذع فشبهوهم بالكلب العقور". ومعروف أن الزيات أنشأ "الرسالة" يناير ١٩٣٣- ١٩٥٣، وبعد إغلاقها كتب مقالات من ١٩٥٣ حتى ١٩٦٨ وجمعها في كتابه في ضـــوء الرســـالة الصادر في ١٩٦٣ – راجع كتاب: أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة د/ محمد علي الفقي ص ٧٤- ٨٤.

والاستخفاف بكل قيمة والنزول بالفن إلى مستوى إدراك الرجل العامي وذوقه فنكتب له الأدب بقلم (العرضحالجي) ونعزف له الموسيقى بزمارة الراعي ونرسم له الجمل والمحمل بفرشة النقاش **فتلك هي الكلبية لا الواقعية)** "[1].

ويفصح عن رأيه حول الواقعية التي يقبلها، فيقول: "أنا أميل بطبعي إلى الواقعية بمعناها الفني الصحيح، ولكني أكره لنفسي ولغيري غلو الغالين فيها بنقل الطبيعة والحقيقة نقلا آليا قبحا بقبح وعريا بعرى وغثاء بغثاء دون أن يسمحوا للذوق أن يُهذّب ولا للفن أن يُجمّل، وأرجو أن تظل الواقعية كسائر المذاهب الجديدة محدودة بحدود الفن محكومة بأحكامه وحيثما يكن الفن يكن الجمال"[2].

- **وفي موضع آخر** "الأدب بين الصعود إليه والهبوط به"[3]قائلاً: " ولا أدري كيف يستطيع الفنان أن يرفع النفوس إلى مراقي الكمال إذا لم يرتفع هو عن حقارة الحياة الدنيا ويصور للناس المثل العليا من الجمال والفضيلة فيرتفع الشعب إلى سمائه بدل أن يسف إلى حضيضه ودهمائه" فالفن يرفع الآخرين إليه، ولا يهبط هو إليهم، وإلا فإن الأمر – على حدّ قوله: "تقدم إلى الخلف، وارتفاع إلى أسفل".

- وإذا كان مقال الزيات المشار إليه قد جاء دفاعاً عن الواقعية الصحيحة وردعا للمنحرفين بها إلى ما يسوء الفن ويهوي به، فإنه قد اضطر للدفاع عن الفنية المطلوبة مع الواقعية في مقال تال أشار في صدره إلى أن (الشرقاوي) حمّله في الصفحة الأدبية من (الشعب) مسئولية مقاله السابق (بين الواقعية والكلبية) **وقال الشرقاوي** (إنه أحد

(١) في ضوء الرسالة ص ٦٣.

(٢) السابق ص ٦٣– ٦٤.

(٣) مجلة الأزهر – ج٥ السنة ٣٥ ديسمبر ١٩٦٣م ص ٥١٣– ٥١٦.

الذين لا يوافقون على كل ما في هذا المقال من أفكار) ولذا جاء مقال الزيات (الواقعية لا تعادي الفن) ردا على الشرقاوي وغيره وقد **أنهى الزيات مقاله هذا بقوله** "والواقعية لا تعادي الفن ولا تنافيه. والواقعيون أجمعون هم من الكتاب الأفذاذ الذين أوتوا ملكة البيان وفهموا أسرار البلاغة وما نعرف أحدا منهم تعاطى الكتابة في لغته وهو ينكرها كل الإنكار ويتنكر لأدبها كل التنكر فهل يريد الواقعيون المصريون أن يكونوا بدعا من سائر الكتاب فيفصلوا بين الواقعية والفن وبين الكتابة واللغة؟ إن كانوا يريدون ذلك فهو الخلاف الذي لا ينتهي بيننا وبينهم وإن كانوا يدعون إلى واقعية مصرية تنبثق من حياة الشعب وتحرص على تقاليد العروبة فتؤثر الفصحى وتقدس الخير وترعى الجمال فإنا وإياهم على كلمة سواء"(١).

ولكي يتضح معيار اللغة السليم – يبتعد أحد كتابنا بدعاة (واقعية اللغة) عن المغالطة فيقول: "والواقعية في نظر دعاة العامية أن يستخدم البطل في القصة لغته العامية في الشارع وكذلك بقية الشخصيات، فيستخدمون اللغة التي يتعاملون بها مع الناس لكي يكونوا واقعيين، فالحداد يتكلم بلغه الحدادين والنجار يتكلم بلغه النجارين، والخباز يتكلم بلهجة الخبازين وهكذا.

وتلك مغالطة سافرة ومسمومة في فهم الواقعية وليست الواقعية في الأدب كما يزعمون، فالمقصود منها في القصة مثلا أن تعبر الشخصيات عن مواقفها من الأحداث والحكاية؛ فالفيلسوف يتحدث بلغته الفلسفية التي تعتمد على المقدمات والنتائج: والزارع بلغته الريفية السهلة المناسبة العذبة الرقيقة؛ والمهندس بلغة المثلث والمسطرة؛ والطبيب بأسلوب الوقاية

(١) في ضوء الرسالة – مقال/ "الواقعية لا تعادي الفن" للزيات ص ٦٦– ٦٩.

والعلاج؛ والخادم بلغة التواضع والاستجابة؛ فلا يصح للخادم ان يتكلم بلغة الفيلسوف؛ ولا العكس؛ وكذلك بقية الشخصيات لا تتبادل في مواقفها من الحكاية وإلا تحطمت الواقعية في القصة. فينبغي لكل شخص أن يعبر عن موقفه بلغة فصيحة سهلة يفهمها المتعلم والجاهل والقريب والبعيد؛ والمتقعر والمتسهل؛ فلغتنا العربية غنية بألفاظها ومترادفها ومشتقاتها بما يتناسب مع كل مقام ومقال؛ فأدب نجيب محفوظ في القصة يقرؤه الجميع ويفهمه العامي والجاهل والمتعلم والمتخصص وقصص على أحمد باكثير يفهمها الجميع وهكذا "[1].

وهذا الاتجاه الصوابي حول (الواقعية) وتمسكها بالأصول الفنية – مدعوم بأقلام كثيرين في مجال النقد والأدب: من هؤلاء **على سبيل المثال** الدكتور محمد مندور الذي راح يؤكد على **وجوب التزام الفنية** إلى جوار الهدف أو المضمون بقوله "وأنا أقول دائما إن الهدف أو الأهداف لا يجوز أن تطغى على الفن وأصوله حتى يظل أدبنا محتفظا بما يميز كل أدب من غيره "كما يوصي بأنه ينبغي أن يكون إلى جوار الإحساس الدقيق بمجرى الحياة في بلادنا وخطوات تطورها الظافر: الحرص الدقيق على أصول الفن ومبادئه الخالدة ومباهجه الروحية والجمالية الباقية على كر السنين واختلاف الظروف والملابسات وفيها يتركز سر الخلود للأدب والأدباء الطامحين"[2].

والأديب محمود تيمور الذي يؤكد على أن الواقعية لا يمكن أن تخلو من العاطفة والخيال حيث يقول "ويخطئ من يحسب الواقعية حربا على العاطفة وتمردا على الخيال. فما العواطف والخيال إلا جزء[3] من واقع

(١) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق – د/ علي صبح ج١ ص ٣٤.

(٢) جولة في العالم الاشتراكي ص ١٠٣– ١٠٥.

(٣) بين المطرقة والسندان ص ١٦٨ – في الأصل "إلا جزءاً" وهو خطأ صوّبناه.

الـنفس البشـرية ولهـذا الواقـع المعنـوي غيـر المنظـور أكبـر السـلطان علـى الواقـع المـادي الـذي تـراه العيـون. وإذا كانـت الواقعيـة فـي أصـلها قـد نشـأت لتحد مـن طغيـان العاطفـة والاسـتغراق فـي الخيـال فـإن مـن واجبنـا أن نحـد مـن جفـاف تلـك الواقعيـة الصـرفة واحتباسـها فـي قمـاقم الماديـات الجامـدة حتـى تهب عليها نسمات رقاق من عاطفة رهيفة وخيال رفاف".

ويعـد هـذا الفهـم المسـتقيم الـذي ينبغـي أن تكـون عليـه الواقعيـة لـدى الأدبـاء عنـدنا ننتقـل إلـى بحـث نقطـة تتصـل بالواقعيـة ويتشـدق بهـا الوجوديـون أيضـا وهـي نقطـة "الالتـزام"، وعلـى كـل فسـنراها أو ننظرهـا مـن خـلال نظـرة أدبائنـا ونقادنا لها في تطورنا الأدبي قبل الثورة وبعدها في القرن الماضي.

ثالثاً- الوجودية والردّ على من تبنّاها في بيئتنا المصرية:

تتمـة للفائـدة، وإضـاءة لعقـول ناشـئة الدراسـات العليـا – قبـل أن نـدخل إلـى بحـث قضـية "الالتـزام" و"الالتـزام الوجـودي" – نـرى أن نتعـرف علـى مـا حملـه النقـد الحـديث إلينـا تحـت مسـمّى "الوجوديـة" ليكـون الطريـق إلـى بحثنـا – أو إلـى غيـره – معـروف الأبعـاد، لـيس بـه فخـاخ وعقبـات، يـؤدي عـدم الـوعي بهـا إلى خطر كبير.

واختصـاراً نسـأل: مـا الوجوديـة؟ متـى نشـأت وكيـف وصـلت؟ وعلـى أكتـاف مَن حُملت؟.. وكيف جُوبهت؟ **ونجيب في النقاط التالية:**

١-نشأتها وأبرز سماتها:

أ- تمخضـت الحـرب العالميـة الثانيـة عـن موجـات أعظـم اتسـاعا وأشـد عمقـا مـن الفرويديـة والسـريالية، وهـي تلـك الموجـات التـي سُـميت بالوجوديـة والتـي تشـبه أن تكـون عقيـدة أو دينـا – لـدى أصـحابها – يسـعى لاكتسـاح كافـة الـديانات والحلـول محلهـا فـي قيـادة البشـر عبـر الحيـاة، إنهـا تنكـر وجـود

الله – والعياذ بالله – وتنكر المثل العليا والقيم الأخلاقية الخالدة وتحصر الوجود في تفكير الفرد وترى أن فكرة الألوهية ضارة بالإنسانية ويجب التخلص منها لذلك.

ب- هذه الفلسفة **امتدت إلى الأدب والفن** متسترة تحت دعوى أنها تهب الفرد حريته بحيث يتصرف دون أن يتدخل فيما يراه ويفعله قوة عليا أو مبادئ معينة. وسارتر قد اختلف مع الحزب الشيوعي – وهو عضو فيه – حين طالب بحريته الفردية وقد بلور مذهبه في مسرحية وضعها بعنوان "الذباب" ونقلها إلى العربية الدكتور محمد القصاص باسم الندم أو "الذباب"، كما ترجمت لسارتر مسرحيات وأعمال أخرى.

ج- والوجوديون يثورون على القدر ويرمونه بالظلم، والحرية الفردية عندهم حرية مطلقة، لا تقيدهم عادات أو تقاليد، ذلك "لأن الغاية من دعوة الوجودية هي إعلاء الحرية الفردية إلى الأوج، وإطلاقها إلى أبعد مدى، وحصانة النفس من مؤثرات الوراثات والعادات والتقاليد، أو على الأصح تطويعها ما أمكن التطويع، حماية للذات من أن تعترض سبيلها عقبة أو يتسرب إلى صفاء وجودها كدر"(١).

ولعل ذلك الخروج على التقاليد راجع "إلى أن الإنسان الوجودي عليه أن يخلق قيمه بنفسه ".

د- **والأدب الوجودي يميز بين أدب الالتزام(٢)وأدب الفكرة أو الرسالة،** فالأدب الملتزم لا يخترع قصة أو رسالة أو يبشر بقيمة من القيم، بل هو أدب يهدف إلى تصوير الواقع ويقول بأن الوجودية ذاتها واقع لا قيمة(٣).

---

(١) من مقال بعنوان "سارتر بين فلسفته وأدبه " لمحمود تيمور – مجلة الهلال – عدد خاص عن سارتر – فبراير ١٩٦٧ – ص ٧٣.

(٢) سنعالج قضية الالتزام ونناقشها في النقطة التالية تفصيلاً لأهميتها.

(٣) الأدب ومذاهبه ص ١٥٨.

ولا يخفى ما في ذلك من تناقض واضطراب، "ويكفى للدلالة على **تناقض الوجودية** أنها في الوقت الذي تتخلص فيه من القيم المتوارثة تدعو إلى الالتزامية أي إلى الصدور في النهاية عن قيم جديدة يرتضيها كل فرد في وضع معين، **هذا إلى أن أبرز سماتها القلق والهجران واليأس**، القلق بسبب الحرية المسئولة وعدم الاستناد في حياته وتصرفاته وأحكامه إلى إله أو قضاء وقدر أو أي نوع من أنواع الجبرية من القيم يولد في نفس الوجودي الشعور بالهجران، فهو مهجور لا عون له ولا سند خارج نفسه التي تحمل المسئولية، وبحكم انتفاء القضاء والقدر والجبرية والحتمية بل وانتفاء العزاء الذي يقدمه الاعتقاد في الحياة الأخرى وما قد يوجد فيها من تعويض عن بؤس هذه الحياة الدنيا فإن شعور اليأس يسيطر على الوجوديين[١].

٢-حول الدعوة إلى ارتباط الشعر بالفكر الوجودي:

ولعل الدكتور عبد الرحمن بدوي هو أبرز الرواد الأوائل الذين تحمسوا لربط الشعر المصري المعاصر بالفكر الوجودي[٢]، ونادى بذلك في بعض كتبه كما نادى به في مقدمة ديوانه (مرآة نفسي)، فهو يرى إمكان قيام **وجودية عربية** على دعائم من التصوف الإسلامي[٣] وفي ذلك يقول موضحا الارتباط بين الوجودية والتصوف: "ومن هنا نجد أن دراستنا للتصوف الإسلامي في عصرنا الحديث أمر واجب، فهي ذات فائدتين جليلتين:

---

(١) السابق ص ١٦٠- ١٦١ بتصرف يسير.

(٢) راجع الموضوع في: تيار رفض المجتمع في الشعر العربي الحديث في مصر – د/ سعد دعبيس ص ١١٤ وما بعدها.

(٣) انظر: الإنسانية والوجودية في الفكر العربي – د/ عبد الرحمن بدوي ص ٦٩ وما بعدها.

الأولى – أن نقدر هذه المذاهب الصوفية حق قدرها، **ونضفى عليها نورا وهاجا من التفسير الوجودي الحديث، حتى تتبدى بكل ثرائها وقيمتها الحقيقية.**

والثانية – أن يكون في هذه الدراسة من جانبنا نوع من الاستفادة والاستلهام، واتخاذ نقطة البدء في مذهبنا الوجودي العربي الذي نود أن نجعل منه فلسفتنا الجديدة في الحياة والوجود(١).

ولم يكتف الدكتور عبد الرحمن بدوى بذلك، بل دعا إلى "**الشعر الوجودي**" معللا لذلك بأن الوجودية أقرب الفلسفات إلى الشعر، وأن الشعر أقرب الفنون إلى الوجودية، "وذلك لأن الشاعر يخلق عالما من الوجود قائما بذاته، ويملك من الحقيقة قدرا ما يملك عالم الفيلسوف في نظر صاحبه بل.. لعل الشعور عند الأول أقوى منه عند الفيلسوف، فنحن لا نوقن بحقيقة شيء يقينا كاملا إلا إذا كنا نحن الذين خلقناه وأبدعناه؛ لأننا نشعر آنذاك بأنه جزء من كياننا صادر عنه، فله من الحقيقة بقدر ما لكياننا.....

والفيلسوف غير الوجودي ينظر إلى عالمه، كأنه أمامه يتأمله بوصفه موضوعا في ذاته، لهذا فإن شعوره بحقيقة هذا العالم أضعف كثيرا من إحساس الشاعر نحو حقيقة عالمه، أما الفيلسوف الوجودي، فيتساوى في شعوره من هذه الناحية مع الشاعر الوجودي؛ لأن كلا منهما يؤسس عالمه ويبدعه، عالمه الإنساني الذاتي، ولا حقيقة خارج هذا العالم عند كليهما، وعالمهما واحد في مجموعهما، أو على الأقل: العوالم الأخرى من "فزيائي" وما إليه من مرتبة دنيا بالنسبة إلى الوجود الذاتي الذي هو عالم كل من الفيلسوف والشاعر الوجوديين"(٢).

---

(١) السابق ص ٩٥– ٩٦.

(٢) السابق ص ١١١.

وقد نادى بفكرته تلك **في مقدمة ديوانه** "مرآة نفسي"، ثم عاد فكررها في كتابه "الإنسانية والوجودية" حيث يقول:

"ولهذا قلنا في استهلال ديواننا "مرآة نفسي":

"أيها الشعراء.. ألا فلتشاركوا الرب في فعل الخلق

– ونحن إنما نقصد إلى هذا المعنى "[1].

– وقد اقترح أيضا أن تكون **الموضوعات الرئيسية في الشعر الوجودي** هي:

"**القلق – الخطيئة – الندم – الرذيلة – الشر – الموت – السام**"[2]كما يرى **عدم تقيد الشاعر في اختيار موضوعاته بأي قيد من قيود الدين أو الأخلاق.** فله أن يطرق أي موضوع يتمشى مع إبداعه الذاتي فهو بمعزل عن أحكام الدين والأخلاق، أو أي تقويم كائنا ما كان، أو بالأحرى هو فوق كل ألوان التعارض العملي الخاص بالسلوك الأخلاقي.. **بل من الأفضل للشاعر الوجودي أن يختار لفنه موضوعات الشر والرذيلة، لأنها هي التي تولد القلق** الذي هو المحرك الأكبر للشعر الوجودي[3].

- ومعنى ذلك: أن **الشاعر الوجودي رافض للمجتمع**، لأنه يختار موضوعات قد تتعارض مع الدين والأخلاق، ويؤكد ذلك الدكتور عبد الرحمن بدوي، فيقول: "ومعنى هذا بكل وضوح: أنه إن وجد الرذيلة والقبح أو الشر أوفر حظا في التمكين من الإبداع، فلا جناح عليه مطلقا في أن يتخذها، بل وأن يتخذها وحدها موضوعات لخلقه الشعرى..، **بل الإثم كل الإثم في الانصراف عن هذه الأشياء إلى أضدادها، استرضاء وتملقا لأهواء الأخلاق أو الدين أو ما إليهما من الأوضاع في دنيا الحياة...!**

---

(١) السابق ص ١١٢.

(٢) السابق ص ١١٦– ١١٩.

(٣) السابق ص ١٣٧.

بل نحن نذهب إلى أبعد من هذا فنقرر وفقا للمذهب الوجودي **أن هذه المعاني هي الأحرى بأن تكون موضوعات للشعر الوجودي**"[١].

ومن خير نماذج الشعر التي أعجب بها الدكتور بدوي، ورأى أنها **تمثل الشعر الوجودي خير تمثيل:** قصائد ديوان "أزهار الشر" لبودلير، وفي تمجيدها يقول:

"ولهذا نستطيع أن نعد "أزهار الشر" أكمل نموذج للشعر الوجودي؛ فإن ما يميز تناول (بودلير) لهذه الموضوعات هو أنه اتخذها **حالات وجودية، ذات دلالات وجودية،** وأنه ضمها كلها، ووحد ما بينها، حتى استطاع أن يجعلها فلسفة وجودية واضحة المعالم"[٢].

وهكذا نرى **الشاعر الوجودي** شاعرا **متمردا على المجتمع،** لأنه يختار موضوعات قد تعارض الدين والأخلاق، ولا يهمه إلا التعبير عن تجربته الوجودية الفردية ولا يعترف بأي قيمة أخرى تتعارض مع إبداعه، ومذهبه الوجودي بفرض عليه – كما يقول الدكتور بدوي – "**اجتناب الناس، وازدراءهم، وكل ما يلقونه من أحكام**"[٣]، وهو متمرد أيضا لأنه يختار لأدبه نماذج غريبة في الحياة، نماذج قائمة على الشر والقبح والرذيلة، وهي نماذج لا تأبه بالمجتمع، ولا تقيم له وزنا. هذا إلى أنهم "يجعلون القيمة الفنية والجمالية في **المرتبة الثانية** بعد القيمة الأخلاقية والاجتماعية الملتزمة"[٤]، من هنا أطاحوا بالفن وبالقيم معاً.

---

(١) السابق ص ١٣٨.

(٢) السابق ص ١٢٢، ١٢٣.

(٣) السابق ص ١٣٩.

(٤) الأدب ومذاهبه ص ١٥٠وما بعدها. وراجع كتاب سارتر بين الفلسفة والأدب تأليف / موريس كرانستون – ترجمة / مجاهد عبد المنعم مجاهد. وجان بول سارتر: فيلسوف وأديب فرنسي معاصر، ولد سنة ١٩٠٥ م، اقترنت الفلسفة الوجودية باسمه، أنشأ مجلة "العصور الحديثة" التي تتضمن أبحاثا وجودية في الأدب، أهم مؤلفاته "الوجود والعدم" ومن رواياته "الغثيان" ومن مسرحياته "الفاضلة" و "موتى بلا مدفن" و "الذباب ".

ولغرابة هذه الدعوى وإمعانها في الانحراف الفكري والأخلاقي والأدبي – وجدنا معارضة لها من بعض النقاد في مصر(١)، وإن راح بعضهم يقول في نبرة المعلّق المسالم أو المهادن: " ولكن يبدو أن تلك المعارضة لم تقلل من تأثير تيار الفكر الوجودي في الشعر المصري. ولم يكن عجيبا بعد ذلك أن نجد محور الشعور بالغربة والضياع يتوازى في الشعر المصري المعاصر مع محور الذات والوجود"(٢)، وكأن الأمر مجرد "تأدية واجب"؛ هذا على حين يحفظ لنا التاريخ الأدبي **في القرن الماضي** مجابهة ومعارك نقدية لحماية أدبنا ومجتمعنا مما يستهدفه على خط اللغة والأدب إبّان سيطرة المحتلين ومن يشايعهم من المنتفعين.. وبيان ذلك في النقطة التالية.

٣-مجابهة ما في "الواقعية والوجودية" من خلل:

حفلت بعض الكتب والمقالات بالتصدي لما في المذاهب الغربية الوافدة من منعطفات خطيرة علينا تحاشيها والحذر منها في مسيرتنا الأدبية، ويهمنا نقد ما في المذهبين المذكورين بالدرجة الأولى، **لمساسهما بموضوع بحثنا** وبعض نقاطه المهمة، على مستوى الشكل أو المضمون الأدبي.

وقد كان الجو مُهيأ – قبيل ثورة يوليو وبعدها – لأن يهب المخلصون لتحرير أدبنا مما يستهدفه من نزعات ضارة، وصيانته عن التردي في مهاوي العامية والضياع بين السطحية تارة والنهوض تارة أخرى.

---

(١) في الثقافة المصرية – محمود أمين العالم، د/ عبد العظيم أنيس ص ١٢٢.

(٢) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/ عز الدين إسماعيل ص ٣٦٩.

هب أمثال العقاد والزيات ونجيب الكيلاني[1]وغيرهم للزود عن أدب العرب ولغة الإسلام:

أ- فالزيات كتب قبل الثورة بحوالي عامين يتحدث عن "حاضر الأدب العربي" والذي ذكر أنه (لا يطمئن كثيراً على مستقبله) **لعوامل عد منها** "سوء تعليم الأدب وقلة الرغبة في تعلمه، وضعف الملكة فيمن يكتبون وفساد الذوق فيمن يقرءون" و"انتشار الأدب اللذيذ الذي لا ينفع، أو الأدب الماجن الذي لا يرفع" و"طغيان الأدب الأوروبي بمذاهبه ونزعاته وترهاته على عقول الناشئين الذين ثقفوا هذه الثقافة الأدبية الهشة ففتنهم عن أدبهم وصرفهم عن تاريخهم **وزين في قلوبهم أن الآداب الغربية** من لوازم المدنية الحديثة. فكما تركنا في الأكل اليد إلى الشوكة والسكين، وفي اللباس الجبة والقفطان إلى الجاكتة والبنطلون - **ينبغي كذلك** أن نترك في الكلام اللغة العربية وأدبها إلى اللغة الأوروبية وأدبها ليقال أننا متمدنون نحفظ هوجو ولا نحفظ المتنبي، وندرس فلتير ولا ندرس الجاحظ، ونقرأ لامرتين ولا نقرأ البديع، ومن هنا نشأت هذه **التبعية المعيبة** التي فرضت على أدبنا لأدب الغرب فأساليب الشباب اليوم هي أساليب الكتابة في الغرب ومذاهب الأدب اليوم هي مذاهب الأدب في الغرب، **حتى الرمزية** بنت الأفق الغائم والنفس المعقدة واللسان المغمغم يريدون أن تتبناها العربية بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح، **وحتى الوجودية** وليدة الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التي كرمت الإنسان وفضلته عن سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعداها وهو عاقل ولا يتحداها وهو مؤمن" ثم استمر الزيات بعد ذلك يدافع عن اللغة والدين والأدب العربي

(١) صدر للدكتور نجيب الكيلاني كتاب الإسلامية والمذاهب الأدبية أول أكتوبر سنة ١٩٦٢.

الأصيل".. "الأدب جنس وذوق وبيئة وعقلية وعقيدة وتاريخ وتقاليد، والعلم شيء غير أولئك كله، فإذا جاز طبعا أن نأخذ عن غيرنا ما يكمل نقصنا في العلم فلا يجوز قطعا أن نرجع إلى هذا الغير فيما يمثل نفسنا من الأدب[1]".

ب- **وفي شأن المذاهب الغربية** رأينا (مندور) يختلف مع (العقاد) في اعتباره (أي اعتبار العقاد) الاشتراكية والشيوعية والرمزية والوجودية مذاهب هدامة وبمثابة "أفيون الشعوب"[2]وقبل عرض وجهة نظر مندور **نذكر – كمثال – رأيا للعقاد** حول واحد من المذاهب السابقة **يندد فيه بما في الواقعية** من "سواد " ويوضح خطأ الواقعيين في تلك النظرة إلى الحياة فهم كما يقول ".. **يصورون الدنيا** كأنها ليل مطبق الظلام، والواقع المحسوس يرينا بأيسر نظرة أن الدنيا ليل ونهار، وأن ليلها لا يخلو من ضياء ونهارها لا يخلو من غمام وغطاء. **ويصورون الحياة** كأنها جحيم ليس فيها إلا الزبانية والمعذبون[3]، والواقع المحسوس يقول لنا كل يوم أن الدنيا ليست بالجحيم وليست بالفردوس المقيم، ولكنها دنيا تستحق منا أن نجاهد ونسعى، ولو كانت جحيما مطبقا لما كان فيها معنى للسعي والجهاد. **ويصورون الناس** كأنهم لا يحلمون ولا يتخيلون، وليس من الواقع أن تسقط الأحلام والأخيلة من حسابنا لأن الواقع الذي يراه اليقظان بكلتا عينيه المفتوحتين أن الناس يحلمون ويتخيلون، **ويصورون الرذيلة** كأنها حكر لطائفة واحدة هي الجانية وغيرها من الطوائف مجني عليه كما يقال في لغة القانون. والواقع أن بنى آدم جميعا يصابون ويصيبون ويجنون من الرذيلة ويكيلون بالكيل الذي يكال لهم من السر والعلانية

(١) وحي الرسالة – المجلد الثالث، من مقال حاضر الأدب العربي ص ٢٠٦.

(٢) جولة في العالم الاشتراكي – مندور أفيون الشعوب ص ٣٧.

(٣) في الأصل "والمعذبين" وهو خطأ.

فليس فيهم ذرية ملائكة ولا ذرية شياطين". **ويقول أخيراً** "إن الواقعية الصادقة لا تجرد البشرية من أحلامها ولا تجرد الدنيا من محاسنها فلا يعاب الأدب الذي يصور لنا الإنسان على حقيقته والدنيا على حقيقتها وما وراء ذلك فهو وراء الواقع في الحس وفي العقول[1]".

ج- **ونعود لنجد قول مندور** "ونحن وإن كنا لا نقر إسراف المذاهب الشيوعية والاشتراكية والرمزية والوجودية إلا أننا لا نريد أن نضلل شبابنا بأن نوهمهم بأن كل هذه المذاهب هدامة وأفيون الشعوب وذلك لاعتقادنا الراسخ أن **بعض اتجاهات هذه المذاهب** (الهدامة أو أفيون الشعوب عند العقاد) **يصلح دواء ناجحا لبعض مشاكلنا** كما يصلح بعض الأفيون دواء طيبا سواء بسواء، **والأستاذ العقاد نفسه لا يجهل ذلك** والأمانة العلمية والأخلاقية تقتضينا وتقتضي الأستاذ العقاد وغيره أن نقر بهذه البديهية وأن نحاول **أن نلتقط من كل مذهب ما فيه من خير** حتى نستطيع أن نكون من مختاراتنا مادة أولية كبيرة نرجو أن نصهرها في بوتقتنا القومية لنخرج منها بمذاهبنا الأصيلة وذلك لما هو معلوم من أننا لا نستطيع أن نخلق من العدم ولا أن نغلق أذهاننا دون تيارات الفكر العالمية إغلاقا تاما بدعوى أن فيها بعض جوانب لا تروقنا أو لا تروق نفرا منا..[2]".

هذا ما رآه الدكتور مندور: أن نُكوّن من مجموع خيريات المذاهب الوافدة مذهبنا أو نكمل بها مذهبنا.. **أي أن نقيم "كليتنا" على أجزاء من هنا وأجزاء من هناك حتى ولو كان من بينها أجزاء من الوجودية** التي **يُرحِّب جداً بما فيها من التزام** ويقول "يجب أن نستفيد من دعوة الوجودية إلى التحرر من الكثير من القيم والمبادئ الفاسدة التي طرأت على الدين

(١) دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية – العقاد الواقعية في الأدب ص ٢٩.

(٢) جولة في العالم الاشتراكي – د/ مندور ص ٤٣- ٤٥.

والأخلاق مثل القدرية والتواكل والتنصل من المسئولية وإلقائها على عاتق القدر وإرادة الله وأن نحكم عقولنا فيما يعرض لنا من مشاكل الحياة ونلتمس لها الحلول التي تتبع من ملابساتها، وأن نتحمل في الحياة مسئوليتنا الكاملة، وأن نثق بأنفسنا وبقدرتنا على تحديد مصيرنا وتوجيهه **على نحو ما فعل الوجوديون أنفسهم** عندما ساهموا مساهمة باسلة في تحرير فرنسا من الغزو الألماني مؤمنين بأنهم بهذا العمل إنما يحققون لأنفسهم ولمجتمعهم مصلحة حقيقية(١)".

ولكن مع احترامنا لفكر الناقد الكبير – هل يظل الدين كلمة نُجلّ لها الوقار إن جَرّ إلى ذكرها قلم دون أن نشركها في تصحيح المسار؟ إن العقل قاصر والنظريات الفردية مهما أوتيت من بصيرة نافذة فهي غير قادرة على الخروج بالعلاج الناجح والدواء الشافي بصرف النظر عن كونها من **سارتر** – زعيم الوجودية – أو غيره، فلدينا الإسلام برؤيته الشاملة التي يمكن للفرد من خلالها أن يكون قمة في الالتزام الواعي الإنساني غير المحدود بمذاهب مكبوتة وظروف تاريخية ومحلية موقوتة. هذا بالإضافة إلى أن الإسلام قد رفض التواكل والقدرية والاستسلام منذ أزمان طويلة قبل أن يوجد سارتر ومعه "الوجودية" في هذا الوجود بأمر الله.

د- **ومشكلة "الاختيار الوجودي " عند "سارتر** " وأضرابه تعطي للإنسان الحق في أن يستجيب لندائه الداخلي ولمشاعره الخاصة وعليه أن يختار ما شاء متحملا أعباء المسئولية. انفعالات الإنسان وأفكاره الخاصة هي حجر الزاوية **أما "الاختيار الإسلامي**" فهو أكثر موضوعية وإيجابية لا سيطرة فيه لنزوات النفس وانفعالاتها الثائرة الجامحة وإنما القياس "قياس موضوعي" بحت مستمد من المبادئ الإلهية المحددة التي حررتها

(١) السابق ص ١٠٠.

النصوص ووعاها الضمير الإنساني الصحيح، إنها مسألة تفاعل وتجاوب شيء آت من خارج النفس – الدين – مع النفس. مزيج من الذاتية والموضوعية وفي هذا لون من التعادل والاتساق النفسي تكون فرص الخطأ والتردي أقل بكثير منها في حالة "الاختيار الوجودي". **والفرق بين "الاختيارين** هو الفرق بين فلسفة مضطربة متعددة المفاهيم المتناقضة وبين دين واضح سلس يتسق في مبادئه ومفاهيمه مع مستوى العقول العادية "[1].

ويقول أحد رواد الدعوة للأدب الإسلامي **ضمن نقده للوجودية:** "الوجوديون ينادون بأنه لا جبر للأشخاص، ولا إلزام لهم، ولا دين يحكمهم، ولا سلطة يخضعون لها سوى سلطة الضمير.

وقد فاتهم أن الضمائر تختلف من إنسان إلى إنسان، وتتبدل من حين إلى آخر، وأن العقول قد ترى الخير شراً، والمنكر معروفاً، وأن الحكم في ذلك كله إنما هو لله سبحانه.

ثم إن الوجودية تدعو كل فرد من معتنقيها إلى التخلص من القيم المتوارثة.. البالية، وإبداع قيم جديدة يختارها الإنسان لنفسه بنفسه ويلتزم بها.

وذلك سيبتدع للوجوديين آلاف القيم، وسيمزقهم شر ممزق.

والإسلام يلزم المسلمين بأحكام ربانية ثابتة راسخة لا تتغير أسسها ولا تتبدل، **وكل ما يضاف إليها** هو ما يجد في الحياة من أمور يعتمد المسلم في معالجتها على المصالح المرسلة.

ولعل أخطر ما في هذا المذهب هو أن كثيرا من الشباب المنحلين **وجدوا فيه سندا فلسفيا يسوغ انحلالهم ويفلسفه؛** فانطلقوا في دروب الرذيلة مجاهرين غير هيابين.

---

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية ص ٦٨- ٦٩.

وقد كان من شأنهم أن يخجلوا من الناس لولا احتماؤهم بهذه الفلسفة.

هـ- والذي يرى جموعهم في "سان جرمان " في "باريس "، وهم يسكرون ويخمرون، ويأتون الفواحش تحت حماية الدولة وعلى ملأ من الناس يأخذه العجب العجاب[1]. ولعل هذا ما دفع أحد نقادنا إلى أن يدق ناقوس الخطر – منذ نصف قرن مضى – حيث يقول منبهاً ومحذراً في نفس الوقت: " وهذا المذهب (الوجودي) لم يوغل في نفوس أدبائنا لأن إيمانهم بالله واعتصامهم بالقيم والتراث يعصمانهم أن يكفروا وينكروا تاريخهم. ولكننا نخشى أن يتأثر بعضهم بالأفكار الإلحادية، بما يترجم لهم من أدب وجودي كمسرحية "الذباب" التي ترجمها الدكتور محمد القصاص، وبما ينقل إليهم من مبادئ وأفكار إلحادية، وبما يضطرب في نفوسهم من قلق فرضته مرحلة نضالنا ضد القوى الاستعمارية والصهيونية التي تلح على ابتلاع أمتنا وسحق مقدساتها..[2]".

رابعاً – مقياس التزام الأديب.. وما يثيره من جدل نقدي ومذهبي:

١-حول نشأة الالتزام، والمراد به في مجال الأدب:

أ- مبدأ "الالتزام"[3]في الأدب من المبادئ التي نادى بها النقاد في عالمنا العربي، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، متأثرين بدعوة الاشتراكيين والوجوديين – على السواء – إلى التزام الكاتب بقضايا العصر ومشكلات المجتمع الحاضر، والاهتمام بالمضمون، وأثره الاجتماعي في الأدب.

---

(١) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد – د/ عبد الرحمن رأفت الباشا ص ١٠٠- ١٠١.

(٢) المذاهب النقدية الحديثة – د/ فرهود ص ١٣٨- ١٣٩.

(٣) يقال ألزمت فلاناً بشيء أي أوجبته عليه، والمصدر الإلزام، أما: التزم الشيءَ أو الأمر فبمعنى أوجبه على نفسه، فهو مُلتزِم به، متعهدٌ بأدائه عن قناعة ورضى، والمصدر الالتزام.

والمقصود بذلك المصطلح في مجال الشعر: أن يلتزم الشاعر بقضايا مجتمعه وقضايا العالم أيضاً، وفي ذلك يقول الدكتور محمد غنيمي هلال: "ويراد بالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور في قضايا قومه الوطنية والإنسانية، وفيما يعانون من آلام، وما يبنون من آمال، فليس له مثلا أن يستغرق في التأمل في الجمال الخالد والخير المحض، على حين يعاني وطنه ذل الاحتلال، أو عناء الطغيان وليس له أن يسترسل في خيالاته ومشاعره الفردية، على حين وطنه من حوله، أو طبقته الاجتماعية في وطنه، تجاهد في سبيل آمال مشتركة "(١).

وواضح أن ذلك المبدأ يهتم بالمضمون، وأثره الاجتماعي في الأدب، ويجعل المتعة الفنية في الأدب، وسيلة لغايات إنسانية في سبيل تحرير الإنسان وتقدمه(٢).

ب- وأدبنا العربي القديم قد عرف مبدأ "الالتزام" حيث رأينا الشاعر أو الخطيب مدافعاً عن قبيلته، ومتبنياً قضاياها، يصدِر في ذلك عن طواعية منه وتلقائية قبل أن ندخل عالم المصطلحات الأدبية الجديدة بقرون عديدة، وكان الالتزام العقدي ممثلاً في شعر الدعوة الإسلامية وأدبها بين أدباء المشركين وأدباء المسلمين في عهد النبي ﷺ، كما ظهر أيضا إبان الصراعات السياسية مع نهاية الخلافة الراشدة وبداية عهد بني أمية، حيث تنافرت أحزاب الزبيريين، والشيعة، والخوارج، والحزب الأموي الغالب في النهاية؛ واستمر الأمر مع الخلافات والصراعات المذهبية على امتداد العصور العباسية وهكذا، وإن ربح الأدب والشعر خاصة من وراء ذلك الكثير (٣).

---

(١) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال ص٥٥٣.

(٢) السابق ص ٣٧٨.

(٣) راجع: حوار مع قضايا الشعر المعاصر ص ١٠٧، البحث الأدبي – د/ شوقي ضيف ص١٠٣– ١٠٤، وكتب تاريخ الأدب عموماً أفاضت في تفصيل ذلك.

وما تزال أشعار قدمائنا الملتزمة تجذبنا إلى روعة أدائها وتصويرها وحدة عواطفها، ولذا فنحن مع من يقول: "فليس الالتزام جديدا في الأدب العربي، بل لعل عصورنا القديمة عرفت منه صورا أدق من الصور الحديثة إذ كان الشاعر يناضل في سبيل عقيدته السياسية والمذهبية بسيفه وقلمه وشعره"(١).

٢-منشأ قضية الالتزام في العصر الحديث:

أ- وقد أدى ظهور النظريات السياسية في القرن الماضي إلى ظهور مقياس اجتماعي جديد هو مقياس الالتزام في الأدب، فالأديب لا يطلب في أدبه أن يعكس علاقات مجتمعه وأوضاعه فحسب بل يطلب منه أن يشارك في تكييف مجتمعه بحيث يصبح جزءا لا يتجزأ من كل ما يجري فيه من مشاكل وقضايا ومعارك وبحيث يذود عنه حين يطلب الذياد فينبري للدفاع عنه بقلمه وكل ما يستطيع من مقالة أو قصيدة أو قصة أو مسرحية وبذلك لا يكون كائنا طفيليا في المجتمع ولا هاربا من معاركه ولا آبقا شاذا أو منطويا على نفسه بل مشاركاً في حياته وآلامه وآماله متضامناً مع أفراده، يعيش ما يعيشون من الصراع ويلتزم ما يلتزمون من المسئوليات"(٢).

لقد نشأت فكرة الالتزام إذن في العصور الحديثة وصار لها في القرن العشرين تأثير ملحوظ في حياة الأدب نتيجة لارتباط الأديب بمشكلات الحياة في الواقع، وإدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء هذه المشكلات، ومن ثم تحدد مفهوم الأدب منذ وقت مبكر في العصر الحديث بأنه "نقد للحياة" أو "تفسير لها"، وكان ذلك معناه ضرورة احتكاك الأديب بمشكلات

(١) البحث الأدبي – د/ شوقي ضيف ص١٠٤.

(٢) السابق ص١٠١.

عصره وقضاياه، حتى يتمكن بذلك من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس إلى حقيقة واقعها، وتوعيتها بمصيرها(١).

- ولعل أول من نادى بالتزام الشاعر في العصر الحديث هو شاعر الثورة الروسية "مایاكوفسكي" وعنده: أن **الشعر الغنائي ذو رسالة اجتماعية واقعية محددة**، والشرط الأساسي لإنتاج الشاعر هو "ظهور مسألة من مسائل المجتمع لا يُتصور حلها إلا بإسهام الشعر في حلها، ويرى ذلك الشاعر أيضاً أن التجارب في الشعر الغنائي يجب أن تتجاوب مع الوعي الاجتماعي لجمهور الشاعر، وفي مثل هذه التجارب لا يظهر الشاعر ذاتياً محضاً، بل يكون وعيه مرآة للمجتمع، وما يشغله من أمور عامة"(٢).

- وبتأثير الواقعية الاجتماعية الجديدة – ظهرت دعوة "التزام الشاعر" في فرنسا حوالي عام ١٩٣٥م، وكانت في تفاصيلها صدىً مباشراً لآراء "مایاكوفيسكي"(٣).

ب- وبفعل التواصل بين الأمم والشعوب في العصر الحديث – تأثر الفكر العربي بصفة عامة والشعر العربي بصفة خاصة بثقافة العصر وما ساده من مذاهب اجتماعية وتواصل إنساني، بحيث صرنا "لا نعيش قضايانا وحدها، لأن قضايانا لم تعد منفصلة في الزمان أو المكان عن قضايا كل إنسان"(٤). من هنا برزت على السطح دعوة "الالتزام" في أدبنا العربي الحديث، بمعنى أن يرتبط الشاعر الجديد بأحداث عصره وقضاياه

---

(١) الشعر في إطار العصر الثوري ص٧- ٨.

(٢) الأدب المقارن – د/ محمد غنيمي هلال ص٣٨١.

(٣) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ص٥٥٥.

(٤) الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – د/ عز الدين إسماعيل ص١٥.

"لا ارتباط المتفرج الذي يصف ما يشاهد، وينفعل بما يصف، وإنما هو يعيش تلك الأحداث، وهو صاحب تلك القضايا"(١).

- وراح البعض يستحث أدباءنا إلى الدعاية والترويج لمذهبنا السياسي عن طريق الأدب، كما يفعل غيرنا في دولهم، فسمة العصر هي صراع الأفكار والمذاهب "وحتى نؤكد شخصيتنا المستقلة بين الأمم العريقة في مضمار الحضارة والفكر، فلابد لنا من الخوض الدعائي في عالم يعيش على الصراع بين المذاهب والآراء"(٢).

وكان على الكاتب والأديب – في ظل هذا المبدأ – أن يشارك في معالجة مشاكل المجتمع الحاضر، وأن يهتم بالمضمون وأثره الاجتماعي في الأدب، وجعل المتعة الفنية في الأدب وسيلة لغايات إنسانية في تحرير الإنسان(٣).

٣-الالتزام بين القبول والرفض:

وقد استقبلنا هذا المبدأ (الالتزام) بين مؤيد، أو معارض، أو محلل لجوانبه وأبعاده يأخذ منها ما يأخذ، ويرد منها ما يتعارض مع قيم الأدب وأصوله الفنية.. وقد أثمر هذا الاختلاف في الرؤى ثراءً في الفكر والأدب والنقد، مما نعرض لبعضه خلال البحث.

من ذلك: أن الدكتور طه حسين قد عارض "الالتزام" وهاجم التقيد والالتزام بأي مذهب في الأدب، وأعلن أنه من أنصار الحرية المطلقة، بل والفوضى في الأدب(٤).

---

(١) السابق ص ١٥.

(٢) أدبنا والاتجاهات العالمية – عبد الفتاح الديدي ص٢٥ وما بعدها.

(٣) حوار مع قضايا الشعر المعاصر – د/ سعد دعبيس ص١١١.

(٤) انظر حديث الأربعاء – طه حسين ج٣ ص٢١٠.

ولعل هذا الرأي مدفوع أو مردود عليه بقول أحد نقادنا "ومن الخطأ أن يُخلط بين صدور الشاعر عن مجتمعه وبين التزامه، إذ لا يختلف اثنان في أن الأدب يصور حياة شعوبه، وليس هذا موضع اختلاف أو جدل، **إنما الذي يختلف فيه النقاد** هو أن يكون الأدب ملتزماً بقضـــايا معينة في مجتمعه، يحارب من أجلها ويصـــارع، كقضـية البؤس مثلاً وما يتصـل بها من ظلم، فإنه لا يصـور البؤس والظلم وإنما يصـارعهما شـاعراً في أعماقه بأن جوع مواطنٍ شـيء خطير يتهدد كيان مجتمعه حتى ليكاد ينقضّ من أساسه انقضاضاً"، **كما قال بعض خصوم مقياس الالتزام**".. الأدب ليس طعاماً ولا شراباً ولا وسيلة إلى دعوات سياسية أو اجتماعية يُسخّر من أجلها وفي ســـبيلها، وإنما هو غاية يتغذّى به العقل والروح، وطالما غذّى الناس وأمتعهم قبل أن تظهر الدعوات السـياسـية والاجتماعية المعاصـرة، وماتزال آثاره القديمة تغذّينا، وتمتعنا مع خلوها من التوجيه السـياسـي والاجتماعي". **ويُردّ عليهم بأن** "هذا الكلام قد يبدو مقبولاً، غير أنه لا يَصْـــدق على حياة الأمم المتطورة في عصـــرنا حين تهدم نظاماً بالياً وتقيم مكانه نظاماً جديداً، إذ تكون في حاجة إلى تجنيد كل عناصر الشعب وأدبائه ليتضامنوا معاً في التبعات والمسئوليات"(١).

واســتند بعض الرافضــين إلى أن التزام الأديب بقضــايا مجتمعه يعني بالضــرورة اشتغاله بالمشكلات اليومية المعاشة، وأن هذا من شأنه أن يحط من جلال الأدب، وأن يهبط بالفن من عليائه"، **ويُردّ على ذلك التصـور** بأنه "خاطئ، أو هو تصـور محدود النظرة، فالمؤكد أن العمل الفني لا يســتمد جلاله وروعته من جلال الموضــوع وروعته. ثم إن التفريق بين الموضــوع الجليل والموضــوع غير الجليل مشكلة يصعب الفصل فيها مادام الأديب قد رأى في هذا الموضوع أو ذاك مادة صـــالحة للعمل الفني"، كما أن "قيمة العمل الفني تتحدد بالأثر الفعال الذي يتركه في نفوس الناس، أياً كان الموضـوع الذي يتحدث فيه. ولم يقل أحد – فضـلاً عن

(١) البحث الأدبي – شوقي ضيف ص١٠٣.

هذا – أن المشكلات اليومية تافهة ولا تستحق من الأديب الاهتمام بها. لأن هذه المشكلات اليومية البسيطة أو العارضة تشكل في مجموعها وفي مغذاها إطار الحياة التي يعيشها الناس"[١].

- ومما يعضّد **فكرة التزامية الإنسان عموماً والأديب بصفة خاصة** – أن المزج بين الذاتية والموضوعية مطلوب فالإنسان الفنان فكر وعاطفة بهما يعقل ويتأثر ويشارك. "والموضوعية البحتة قد تليق بحقل التجارب والعلوم الفلسفية والرياضية، والذاتية المجردة قد تليق بإنسان مريض لا يرى خارج ذاته أي شيء مهما كانت ضخامته وأثارته ومهما كان ضجيجه وعجيجه.. ومن ثم فإن الأديب السوي هو الذي يجمع بين الذاتية والموضوعية بين عالمه الخاص – عالم الذات – والعالم الخارجي بأحداثه وموضوعاته[٢]". صحيح أن "الأديب حرية قلم وشعور وطلاقة" لكن "تهتف به أيضا رسالة إنسانية ملقاة على عاتق الأدب الحر، رسالة الإحساس بالحياة التي يحياها والتعمق في المجتمع الذي يعيش فيه، وتزكية ما يلتمع في ذلك المجتمع وفي تلك الحياة من مثل كريمة تدعو إلى حرية وحق وخير وسلام[٣]"، بل إن أحد دعاة الالتزامية الواعية يرى أن يكون الأديب منحازاً لا حيادياً، يقول د. نجيب الكيلاني في ذلك: "وفي اعتقادي أن الفن الأصيل تحيُّز.. أجل.. تحيز لأن الفنان كما قلنا يجب أن يكون ملتزماً بقضايا يؤمن بها، وتستغرق فكره وذهنه ويتشكل بها سلوكه وتعبيره، فالفنان الحقيقي هو الذي له علاقة بمثله العليا، والفنان ينظر دائما إلى عالمه بالمقارنة مع مثاله وقيمه ومبادئه[٤]". ومن الذي يرفض أن يمثل الأدب قضايانا ومبادئنا في فخر واعتزاز وتحيز. إن الآخرين يتحيزون لفنهم

(١) الشعر في إطار العصر الثوري ص١١– ١٢.
(٢) الإسلامية والمذاهب الأدبية – د/ نجيب الكيلاني ص٥٢– ٥٣.
(٣) الأدب الهادف – محمود تيمور ص ٦٧.
(٤) الإسلامية والمذاهب الأدبية – ص٥٣.

وقيمهم وليس من حقهم التحيُّز.. **فهل نعكس القضـــية**.. باســـم الحرية التي لا يصدّرون إلينا منها إلا ما يشلّ حركتنا ويقيدنا عن واجبنا ورسالتنا.

وبعد، فهذا قليل – تمثَّلنا به – من كثير حول الرأي ونقيضـه مما رصـدته بحوث المرحلة حول الالتزام من حيث المبدأ، نقبله أم نرفضه؟.

٤-الأجناس الأدبية والالتزام:

أ- اختلف النقاد الداعون إلى الالتزام حول الإطار الذي يصـــلح لالتزام الأديب وينهض بتحقيق هدفه وخدمة ما يعالج من قضايا.. هل الشعر أم النثر؟ أو كلاهما يصلحان، وتشعبت الآراء والردود في هذه المسألة:

فبعض المرحبين بالتزام الأديب – شعراً ونثراً – لا يرضى للأديب **أن يستمد مادته من الماضـي** كي يقوم بعملية **إسـقاط على الحاضـر المأزوم** الذي يعالج مشـكلاته ويعمل على حلها، وهذا اللجوء الفني عنده يُعدّ انســحاباً من الحاضــر وهروباً من الالتزام.. يقول ضـــمن حديثه عن ضـــرورة الالتزام: ".. أما من يتغنون تجاربهم الشــخصــية البحتة غير مفكرين في مجتمعاتهم كأنهم يعيشــون في غرف منعزلة عنها فإن أدبهم حريٌّ بالإهمال، ومثلهم من ينسـحبون من الحاضـر مسـتمدين في أدبهم من الماضي **ومن التاريخ والأساطير**، وواجب الأديب حقاً أن يعيش المشاكل التي تقلق عصـره صـادراً في آثاره عن الطبقة التي ينتمي إليها ونفسـيتها وكل ما يجري فيها من تناقضات وصراعات"(١).

وفـي هـذا الـرأي **مـا يسـتوجب التحليـل والمناقشـة:** فمـن المسـلّم بـه أن بعـض القضــايا والمشــكلات قــد أخــذت طابعــاً إنســانياً عامــاً علــى مــدار التــاريخ، وارتـبط قـدر هائـل مـن الأدب والفـن عبـر العصـور وفـي البيئـات المختلفـة بهـذه القضــايا والمشــكلات، مــع أن لكــل مجتمــع قضــاياه المحليــة الخاصــة

(١) البحث الأدبي ص١٠٢.

التي قد تتشابه بين مجتمع وآخر؛ كل ما في الأمر أن انعطاف الأديب نحو القضايا الإنسانية العامة ينبغي أن ينعكس أداؤه خلالها بشكل أو بآخر على حياة الناس، ولن يتحقق هذا الهدف إلا إذا نظر الشاعر أو الفنان إلى هذه القضايا من منظور عصره ومجتمعه، فإن هو أغفل هذه الحقيقة دل ذلك منه على الغفلة، وفقد إنتاجه مغزاه بالنسبة لمعاصريه.

تنبه لذلك أدباء غربيون حين اتخذوا القضايا الإنسانية العامة إطاراً لكي يصوروا من خلاله وجهة النظر في الواقع الراهن.. وكذلك صنع كتابنا وشعراؤنا – على حد قول أحد نقادنا – فهم يستغلون أحياناً الأطر التعبيرية القديمة ولكنهم لا يلتزمون بمضمونها القديم، وإنما هم يحوّرون هذا المضمون بما يكشف وجهة نظرهم الخاصة، المرتبطة بظروف حياتنا الراهنة، ويكفي أن نذكر مثالاً لذلك ما صنعه في مجال التأليف المسرحي والقصصي توفيق الحكيم وباكثير ومحمد فريد أبو حديد، حين تناولوا موضوعات إنسانية عامة سبق أن تناولها كثيرون غيرهم، فإذا بهم يوجهونها توجيهاً خاصاً فرضته عليهم ظروف الحياة الراهنة. **وفي مجال الشعر** لا يكاد يخلو شاعر معاصر من التعامل **مع الأساطير القديمة** ذات المغزى الإنساني، ولكنه لا يعيد صياغة هذه الأساطير كما هي، وإنما يستغلها في إبراز مضمون اجتماعي عصري(١).

ولا يفوتنا هنا أن ثمة شيئاً آخر كان يدفع هؤلاء وغيرهم في بعض مراحل القرن الماضي إلى التخفّي وراء الماضي وأساطيره تعويقاً للمتربصين بما يُكتَب ويُنشَر حول مشكلات المجتمع وقضاياه، وتبصير المتلقين بها كي ينهضوا لحلّها.

(١) الشعر في إطار العصر الثوري ص١٠، ٩.

واختلافٌ آخر مؤدّاه أن البعض يُخرج الشعر من المعادلة، **ويرى أن النثر هو ملاذ الأديب الملتزم**.. ولبيان ذلك نقول: عرفنا أن الدعوة إلى الالتزام قد صدرت عن مذهبين هما (الواقعية الاشتراكية، والوجودية) – **فلنعرف الآن** أن الالتزام في الشعر **أمر متفق عليه بالنسبة للواقعية الاشتراكية** فهي "ترى وجوب التزام الشاعر، شأنه في ذلك شأن الناثر فالشعر هو الحقيقة في صورة من صور التأمل، والشاعر يفكر وإن يكن تفكيره في شكل صور.. "كما أن "مضمون الشعر والفن هو المصلحة العامة، وهي نفعية ولكنها نفعية أحلت القيم الاجتماعية محل القيم الفردية المحضة، فكان الشعر سلاحا من أسلحة إقرار العدالة الاجتماعية، وقد اتخذ الشعراء لهم موقفا يتفق وحريتهم في الخلق والإبداع ولكن في داخل قفص النفعية والالتزام، فصارت أجنحتهم مراوح وارتبط خيالهم بملابسات المجتمع المادية والتاريخية"(١).

وعلى حين لا يفرق الواقعيون الماديون في قضية الالتزام بين الشاعر والناثر **فإن الوجوديين**(٢)**وأدبهم عامة أدب التزام – يفرقون بين الشاعر والناثر، ويخرجون الشعر من دائرة الالتزام** وبالمثل الموسيقي والرسم والنحت، وعندهم أن الشاعر يستغرق في تجربته ويراها من خلال وجدانه، ويستعمل لغة موسيقية تتجاوب مع تصوير تجربته في حرية واختيار" كما أنهم يفرقون بين الشاعر والقاص في عرض القضايا الاجتماعية "فالشاعر يقتصر على عرض المسائل والمشكلات من خلال ذاته، يضيق بها أو يهرب من مواجهتها في خواطره النفسية وآماله المنشودة، ولكنه هرب فيه معنى السخط والنفور، مما يصبغ هذا الهرب صبغة إيجابية اجتماعية في

(١) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال ص٤٥٦– ٤٥٧.

(٢) نبحث هذا بحكم الالتزام الذي هو عماد الواقعية لا على اعتبار أن بيننا وجوديين باعد الله بيننا وبينهم.. فالمسألة هنا عن الالتزام في الشعر عند الواقعيين وغيرهم.

نتائجها، ولكنها نفسية في جوهرها ومنشئها، على حين يحكم القاص أو مؤلف المسرحية حكما موضوعيا مبررا بما يعرضه من المواقف الاجتماعية والنفسية في أحوالها وبيئتها الخارجة عن نطاق ذاته[١]".

من هنا استثنى (سارتر) فن الشعر من الالتزام، كما استثنى فنون الرسم والنحت والموسيقى، لأن صورها الفنية غير صالحة للالتزام في ذاتها[٢]. لقد رأى "أن من السخف المطالبة بالتزام شعري"[٣].

وقد اختلف د. عز الدين إسماعيل مع سارتر زعيم الوجودية في إخراجه الشعر من دائرة الالتزام وناقشه في ذلك ولم يرتض استبعاد الشعر من دائرة الالتزام ويقول ضمن دفاعه عما ارتضاه ".. فالشاعر فيما يبدع من شعر إنما ينتمي إلى عالمنا بمقدار ما ينتمي إلى عالم الشعر، إنه ينتمي إلى عالمنا بما لديه من أفكار أو مشاعر أو انفعال لأنه – بوصفه إنسانا يعيش بين الناس – لابد أن تنبت في رأسه أو تتسرب إليه الأفكار، ولابد أن يشعر وأن ينفعل شأن الآخرين، وهو عندما يدخل عالم الشعر لا يطرح من نفسه كل أفكاره ومشاعره، بل يدخل إليه محملا بهذه الأفكار والمشاعر". وفي النهاية يرى أن "التزام الشاعر بموقف فكري أمر طبيعي وضروري حتى يكون لشعره وزنه وفاعليته، فلم يكن الشعر الحق في يوم من الأيام بهرجة وزينة وتهريجاً، ولم يكن الشاعر الحق في يوم من الأيام إلا نبي قومه، وطفلهم، وخادمهم، في آن واحد[٤]".

---

(١) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال ص٤٥٨– ٤٦٢.

(٢) الأدب المقارن – د/ محمد غنيمي هلال ص٣٩١، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – د/ عز الدين إسماعيل ص١٥.

(٣) الأدب الملتزم – سارتر ص٦٠.

(٤) الشعر في إطار العصر الثوري – ص٤٩، ٤٦، ٤٣ وإن كنا لا نرتاح للتجاوز في تعبير "نبي قومه" في نهاية ما نقلناه عنه.

ويتحدث الدكتور خفاجي عن التزام الشاعر فيقول "إن الشاعر يجب أن يكون له رسالة في زمنه الذي يحيا فيه، يجب أن يحارب في محيطه الضعف والجمود والتردد والعجز والجبن، يجب أن يلهب شعور الناس وشعور أمته لتسير بخطى واسعة إلى غاياتها في قوة وإصرار وإيمان بالحق وبالحياة "(١).

ونرى أن نهوض النثر بالتعبير عن الحياة والمجتمعات ومواقف الأفراد والجماعات فيها أوفر حظا وأطول باعا من الشعر الذي يعتبر لصيق الوجدان ونفثة الشعور، والوعي الفردي بالدرجة الأولى وإن كانت له مساهماته في باب الأدب الاجتماعي لكنها لا ترقى على أي حال إلى مجال القصة أو المسرحية أو سائر فنون النثر وألوانه، حيث تتسع الأحداث وتتصرف الشخصيات وتحلل القضايا، **ونرى بالنسبة للشعر أنه** لا يمكن أن يترك لنفسه بعيدا عن دائرة الالتزام، فإنه لو توفر للشاعر إحساس صادق وقوى فإنه سيجد نفسه ملتزما تلقائيا يسخر موسيقاه وعواطفه وفكره وخياله من أجل هدف معين، ولقد كان حسان بن ثابت قمة في التزامه حين جعل من شعره درعا قويا يدفع به عن الرسالة وصاحبها – عليه الصلاة والسلام – سفاهة المشركين.

لكن لا ينفي ذلك ما قلناه من أن **الالتزام في النثر أمكن وأولى منه في الشعر**، ولو عرضنا الأمر على وجهة النظر الفلسفية في الأدب لوجدنا أن حظ الشعر أقل بالنسبة لحظ النثر..

يقول د. زكي نجيب محمود "إنني لا أرفض أن أكون واحدا من الفريق الذي يتطلب من الشاعر التزاما لأيديولوجية خاصة، فهو حتى إذا ارتبط بالقضايا الاجتماعية والسياسية في المجتمع إنما يرتبط **على الوجه الذي**

(١) الشعر والتجديد – د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص٤٠.

يرتضيه هو ويتفق مع مشاعره ووعيه، حتى لو جاء ذلك مناهضا لما هو مألوف عند الناس[١]".

هذا وننبه في النهاية إلى وجوب اهتمام الأديب الملتزم بالوسيلة والغاية معا حيث "يعترف دعاة الالتزام – كما يقول د. أحمد هيكل – بأن كثيراً من الأعمال الأدبية أخفقت لأنها اهتمت بالغاية وحدها، ولكنهم يؤكدون أن أعمالا أخرى كانت أشد إخفاقا لأنها عنيت بالوسيلة فحسب، ثم يقولون: إن الأعمال التي تهتم بالغاية وتعنى بالوسيلة بحيث تلتزم بالهدف النبيل وتحقيقه بالتعبير الأدبي الرفيع – **تكون من غير شك** هي الأعمال الأدبية الممتازة التي تليق بالأديب في العصر الحديث"[٢].

ولعل قضية الأجناس الأدبية، ومسألة الالتزام قد اتضحت معالمها وبان الرأي حولها بما يسمح لنا أن ننتقل لمعالجة نقطة أخرى تُضاف لما سبق.

٥-بين الالتزام والإلزام:

السؤال الآن: هل ينبع ذلك الالتزام من نفس الأديب، أم يكون أمراً مفروضاً عليه؟ بالطبع الحديث عن الواقع والمشاركة فيه إذا لم ينفعل به الأديب وتسوقه إليه نفسه جاء حديثا خواء لا نفع فيه ولا خير.. لا للأدب ولا للمجتمع. ولا خلاف على ذلك عند من يعنيهم أمر الأدب ونجاح مسيرته.

- **فعند الزيات أن** "الأدب يُوجِّه ولا يُوجَّه "يقول الزيات".. فالأديب الموهوب زعيم بالفطرة، توجهه نفسه الكبيرة بطبيعتها إلى أن يحرك في شعبه الشعور بالنقص، ويوقظ في وعيه الطموح إلى الكمال بتلك

(١) مجلة الشعر العدد الخامس يناير ١٩٧٧ ص١٠٧ من الشعر في حياة الدكتور زكى نجيب محمود إعداد فاطمة بركة ص ١٠٥.

(٢) دراسات أدبية د/ أحمد هيكل من مقال "الأدب بين الحرية والالتزام " ص٩ والمقال نشر في مجلة الأدباء العرب أكتوبر ١٩٧١.

الصرخات التي يرسلها فيه، مؤلفةً في كتب أو منظومة في قصائد أو مصورة في مقالات أو محللة في قصص أو ممثلة على مسرح، يفعل ذلك من تلقاء نفسه **لا عن تلقين ملقن ولا توجيه موجه**، وإلا فمن الذي وجه ديدرو ومونتسكيو وروسو إلى التمهيد للثورة الفرنسية؟ ومن الذي وجه تولستوي وجوركي وتورجنيف إلى التمهيد للثورة الروسية؟ ومن الذي وجه الأفغاني ومحمد عبده والبارودي ونديم إلى التمهيد للثورة العرابية؟ " **وعنده** "أن الاعتقاد بوجوب الأدب إلى الحياة أو إلى الشعب نزول بالأدب إلى منزلة الوسائل المادية للعيش، يوجه إلى القصد الذي تريده الجماعة كما توجه العمارة أو النجارة إلى الطراز الذي تقتضيه الحضارة! **وليس هذا من عمل الأدب أو الفن** وإنما هو من عمل العلم أو التعليم" **كما يقول** "وإذا جاز للجيش أن يوجه القائد جاز للشعب أن يوجه الأدب، ومن المحال أن يجوز ذلك لأن الشعب ينفعل بالأدب ولا يفعله، ويتأثر به ولا يؤثر فيه[1]".

ويفرق الدكتور فرهود **بين الإلزام والالتزام فيقول** "ونحن نرتضي أن تكون للأديب فلسفته الخاصة، ولا نمنعه أن يجعل أدبه في خدمة قضايا مجتمعه، بيد أننا نرجو أن يكون موقفه من هذه القضايا **منبعثاً من ذات نفسه** عن اقتناع بعيداً عن الإملاء فإن هذا الإملاء **إلزام** وليس **التزاماً**"[2].

والأديب الإنساني – كما يقول الدكتور عبد الرحمن عثمان – يشعر في أعماقه شعوراً قوياً أن لمجتمعه عليه حقوقا واجبة الأداء، ومملكته العتيدة التي يرف تاجها على جبينه تضم المظلومين والمضطهدين وضعاف الحيلة، فينبغي أن ينافح بأدبه عن حقوق المستضعفين والأجراء، وأن يعزف لهؤلاء وأولئك في كثير من التنوع ألحان الحرية والعدالة والمساواة

(١) في ضوء الرسالة – مقال الأدب يوجه ولا يوجه ص٦٩– ٧٢.

(٢) المذاهب النقدية الحديثة – د/ فرهود ص٨١.

بحيث يشجيهم اللحن وتستثيرهم النغمة، ولا تزال تلك رسالته حتى يتحرر بها الأرقاء والمستعبدون[١]".

ويدفع أحد نقادنا عن أدبائنا الجبر والإلزام في مسيرتنا الأدبية بعد الثورة فيقول ".. الفنان لا يتبنى فكرة مجتمعه أو عقيدته إلا بعد التحام حميم به وتجاذب عنيف معه، وهو يوم يتبنى عقيدة مجتمعه فإنها تكون قد صارت عقيدته الخاصة التي يربط بينه وبينها ما يربط بين الأب وابنه... ومن ثم فالالتزام ممارسة حرة مختارة، في حين أن الإلزام فرض، وحين يكون فرض لا يكون فن.. والأديب الفنان في مجتمعنا مازال يختار موقفه، ومازال يعدل في موقفه، مدفوعاً إلى هذا بواقع التجارب التي يعيشها في المجتمع، وهو يوم يلتزم بقضايا مجتمعه ومشكلاته فإنه إنما يتخذ هذا الموقف حراً مختاراً، وفي هذا ضمان كاف لاقتران الفن بالعقيدة[٢]".

ويرى د. منذور أن هناك توجيهاً للأديب فعلاً **ولكن مصدره** الحياة والظروف والتطلعات الحالية **وليس مصدره السلطة** أو الحاكم فيقول عن (الحرية والتوجيه): "ويتمسك عدد من النقاد بالحرية المطلقة للأديب والفنان، ويرفض كل توجيه، وإذا كان هناك من يقول في صراحة بأنه لا حرية لمن يخون الحياة فإن جميع من يعارضون الحرية المطلقة لم يعارضوها باسم سلطة تفرض نفوذها، أو توجه الأديب حيث تشاء، بل باسم ضرورات حياتنا ذاتها ومثلنا العليا التي نتطلع إليها نحن ومجتمعنا الثائر الذي أصبح يعرف ما يريد، ويوجه كافة طاقاته نحو الأهداف التي رسمها لنفسه تحقيقاً لسعادة الفرد وسعادة المجتمع على السواء، فالتوجيه

---

(١) الرسالة عدد ١٠٤٣ / ٩ يناير ١٩٦٤ – السنة ٢١ ص ١١، مقال الأدب بين الأثرة الفردية والروح الجماعية د/ عبد الرحمن عثمان.

(٢) الشعر في إطار العصر الثوري د/ عز الدين إسماعيل ص ٣٣ – ٣٤ بتصرف.

لن يصدر عن سلطة أو هيئة – بل سيصدر – وهو يصدر الآن فعلاً – **عن الحياة ذاتها** وطبيعة تلك الحياة ومستقبلها المرتقب[١]".

ويرى توفيق الحكيم "أن الأديب يجب أن يكون حرّاً، لأن الأديب إذا باع رأيه أو قيد وجدانه ذهبت عنه في الحال صفة الأديب.. **فالحرية هي نبع الفن** وبغير الحرية لا يكون أدب ولا فن" ويصور التزام الأديب النابع من كيانه بالحمام الزاجل" ينقل رسالة وهو حر طائر لا يشعر بقيد في ساقه ولا بغل في جناحه، فإذا شعر الفنان لحظة واحدة أنه يؤدى بفنه ضريبة عليه أن يؤديها وجوباً فإن الذي سينتجه لن يكون فنا[٢]".

وهو يعتبر أي تحكم في الفن **كارثة** حين يقول إن "القول بأن السياسة هي صاحبة الدور الأهم في صنع مصير الأمم صحيح.. ولكن من أين تنبت السياسة؟ إنها تنشأ في أحضان المفكر والفنان، ولكنها عندما تشب وتقف على قدميها فإنها تحاول أن تخضع والديها الفكر والفن لإرادتها وهنا **كارثة الكوارث**[٣]".

وأخيرا فإنه يتبين لنا الفرق واضحاً بين الأدب المنبعث من ذات نفس الأديب وعكسه من خلال كلام هذا الأديب والذي يقول بلسان وفكر الناقد "لا تثريب على الأديب في أن يكون الهدف عنده معالجة مشكلة اجتماعية قائمة، ولا حرج عليه في أن يكون هدفه معالجة ظاهرة نفسية يستشعرها في ذاته أو فيمن حوله، ولا سلطان لأحد عليه في أن يكون هدفه التعبير عن نزعة قوية تهزه فهو في حل من أن يستوحي من روح عصره أو من باطن وجدانه ما يشوقه من أهداف.

---

(١) جولة في العالم الاشتراكي – ص١٠٣.

(٢) فن الأدب لتوفيق الحكيم ص٣١٠– ٣١١.

(٣) هؤلاء يقولون في السياسة والأدب – عبد العال الحمامصي ص ١٠٤ ونشر الحديث مع توفيق الحكيم في الكواكب ٢٦ أغسطس ١٩٧٥.

آفة الأدب الهادف أن يكون وليد الفرض والإملاء والإلزام، فإنه إذا كان فرضاً وإملاء وإلزاماً جانبه القسط وفاته الصدق وأعوزته الحيوية ومضي في غلوائه يؤدى ما فرض له وما أملى عليه، فإذا هو **أدب زائف مكذوب به على الحياة** وإذا هو لا يلبث أن يتقلص ويتضاءل حين تخف حدة الضرورات التي كانت علة فرضه وإملائه والإلزام به، وكيف يعيش أدب يقوم على المحاباة من جانب والسخط من جانب آخر، إذا حابى كال[1]لما يحابيه فضائل الدنيا جميعاً، وإذا سخط فإنه يسلب ما يسخط عليه كل ما في الدنيا من فضيلة وفضل؟ هذا الأدب الهادف المرسوم المُملَى على أصحابه إنما هو طعمة يومه الحاضر ورهينة وقته العابر، وهو كأقواس النصر ومعالم الزينة في المواسم والمهرجانات، ما بين قيامها وانفضاضها إلا عشية أو ضحاها، أو كضجة الهتاف في الركب السائر لا تلبث أن يذهب مع الريح صداها[2]".

٦-الالتزام ومشاكل التطبيق في مرحلة البحث:

بعد أن طافت دراستنا بجوانب "الالتزام" كما رأينا – نسأل أنفسنا: هل أصبح الطريق مُعبَّداً للدراسة التطبيقية واستعراض همومنا وقضايانا الاجتماعية في شعر القرن الماضي؟ أم أن الشعار أو المصطلح – المرضيّ عنه سلفاً – قد جاء حظه قسمة بين النجاح والاخفاق عند التطبيق؟

ولا نستبق، فنصدر أحكاماً فنية على أعمال لم ندرسها بعد، **ولكن نختم حلقتنا النقدية هذه** بما هو من قابيل التاريخ الذي استقر الوسط الأدبي والاجتماعي على معرفته وتصديقه.. أعني أن عدم التزام "سارتر" بما دعا إليه – كما سنرى الآن – لم يكن مُبرِّراً لنا في أن نُخلّ ميزان الالتزام أحياناً **بعيوب أبرزها** تخويف الأدباء أو

---

(١) مكتوبة "كان " وأعتقد أن صحتها "كال " كما كتبتها.

(٢) الأدب الهادف ص٤٢- ٤٣.

إلزامهم، ادعاء الخصـــومة بين تجارب الحب والهم الاجتماعي، ســـطحية الأداء وانعدام الصدق والأصالة... مما سنراه إن شاء الله مع الدراسة، إلى جوار نماذج رائعة جاءت قمة في الالتزام والصـــدق وقوة المعالجة والتأثير... **أما عن التزام "سارتر" المُعوجّ –** وهذه كارثة – استوعبناها ونجحنا في تعريتها وتلافي أخطارها، **فخلاصتها** أن التزام سارتر ومن هم على شاكلته قد بان أنه التزام منحرف وغير إيجابي وينحاز عن الحق، **فالتزامية "سارتر" المدعاة لم تثبت عند أول اختبار لها في مصـر** "ولعل المروجين للمذاهب الأوروبية والداعين إلى فلسفتها يذكرون أنه منذ سنوات قليلة أي قبل الانتصار المصري العربي في العاشر من رمضان السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ على إسرائيل وجه بعض الأغرار من كتابنا دعوة استضاف بها الكاتب الفرنسي جان بول سارتر وخليلته سيمون دي بوفوار ليزورا مصـــر، وكان في وهم هؤلاء الأغرار – ولعلهم كانوا حســـنى النية – أن يتحمس الأديبان للقضية العربية التي لا يمكن أن يخفي فيها وجه الحق بناء على مذهبهما الوجودي في وجوب الالتزام بما هو حق ظاهر..، ثم ذهبا إلى إسرائيل باحثين عن وجه الإنصاف في هذا الموقف الأدبي **فلما رجعا إلى فرنسا تنكّرا لحق الشعوب في استقلالها**، وأيدا احتلال إسرائيل للأراضي العربية، ومن هنا يمكن أن ندرك متى يكون الالتزام؟ ومتى يتحول إلى النقيض؟[١]. وقد حاول أديب فرنسي آخر أن يكون وجودياً ملتزماً وهو (البيركامو) لكنه في غمرة تعصبه الأعمى عندما سئل عن رأيه في قضية الجزائر قال "لو خيرت بين العدالة وأمي لاخترت أمي "مثل هذا الالتزام المعوج لا يشرف حامل قلم..[٢]".

(١) معالم النقد وقضاياه – د/ عبد الرحمن عثمان ص٣٩٦– ٣٩٧.

(٢) الإسلامية والمذاهب الأدبية ص٤١.

وإذا كان الناس عامتهم وخاصتهم يرفضون "ازدواجية المعايير" ويعانون منها في عالم الحكم والسياسة – فإنهم أشد رفضاً لها في عالم الأدب الذي يُرجَى نفعه وامتاعه للناس في كل جيل، والأدب الكبير – كما يقول توفيق الحكيم "**هو الذي يصلح لعصره ولكل عصر** وينفع الناس ويعرض لشئونهم ويوجه حياتهم في جيلهم ثم يمضي بعد ذلك ينفع الناس في كل الأجيال.. هو ذلك الذي ينظر – بإحدى عينيه – إلى الوطن الصغير ممثلا في بيئته وزمنه، وبعينه الأخرى إلى الوطن الأكبر ممثلا في الإنسانية إلى نهاية الدهر[1]".

وهذا ما يجعلنا – في النهاية – نحفظ للواقعية العربية والإسلامية حقها، إذ أنها تستمد من قيمنا وتاريخنا المشرق روحها، **فهي واقعية إنسانية وشاملة** تصلح للتطبيق في كل مكان، **فهي لا تتعصب لوطن أو جنس،** ولا تطغى فيها الجماعة على ذاتية الفرد، ولذلك فهي واقعية تسمو بالأدب وتضمن له الخلود. فعلينا الحذر **من فوضى المصطلحات والشعارات** التي يتبناها البعض في دنيا الأدب، يقوده في ذلك الهوى، وتحركه المصلحة، يستظل بمذهبٍ في يوم ويغادره في تاليه، كما يفعل دعاة الموضة والأزياء، فإذا فتّشنا في إنشائه – على أي مذهبٍ تعشّقه ورعاه – لا نجد ما يُخلّده الزمان من صدق المضمون وروعة الأداء.

---

(١) فن الأدب لتوفيق الحكيم ص٣٢٦.

ملاحظات البحث ونتائجه

١- التاريخ يعتدّ ببعض ثمار الأدب كأحد مصادره، وفي التلفّت إليه اهتداءٌ بإشراقاته، وتجنبٌ لتكرار إخفاقاته.

٢- جميع مدارسنا الأدبية في القرن الماضي عكست هموم مجتمعنا ومشاكله.. لكنها تمايزت فيما بينها تبعاً لاختلاف المؤثرات الخارجية والداخلية التي مرت بها.. يقول التنظير النقدي هنا ذلك، أما التطبيق الشعري فمع الحلقة الثانية.

٣- العلاقة بين الأدب والمجتمع حتمية تاريخية، وأدب أي أمة مرآة لها، وبيان لجميع خصائصها وتوجهاتها.

٤- العنصر الاجتماعي موجود في أي أدب سواءٌ اعتزل صاحبه في "برج عاجي" أم خالط الجماهير، وسواءٌ أصدر الأدب باسم طبقة أو حاكم أو أمير، أم صدر باسم القاعدة العريضة والمجموع.. فدائماً في كل ذلك فكر وروح اجتماعي.

٥- دراسة الأدب تعتمد في المقام الأول على المنهج الفني والتذوق الجمالي، لكن لا غنى لها عن الاستعانة بالعلوم الإنسانية وأهمها علم الاجتماع وعلم النفس، لذا برز المنهجان التاريخي والنفسي في دراسة الهم الاجتماعي في شعر القرن الماضي.

٦- سادت الواقعية بشقّيها (النقدية) قبل ثورة ١٩٥٢ و (الاشتراكية) بعدها، وانعكس تأثيرها في أدبٍ وشعرٍ كثير، غير أن البعض توهم أن الواقعية تضحي بالشكل لحساب المضمون، وأثبت بحثنا أن فنية العمل وجماله ضرورة نقدية لدى الغربيين، ونقادنا الفاهمين، ومراجعة المعارك النقدية حول ذلك – في بحثنا – ضمان لبقاء وسيرورة الأدب الاجتماعي الهادف والجميل في آن.

٧- لأنّ "الوجودية" اتخذت "الالتزام" شعاراً لها – فقد عارضنا لجوانبها، ولمن تبناها لدينا في شعر القرن الماضي، وقام البحث بتعرية مبادئها السيئة التي تتنافى تماماً مع هويتنا ومبادئنا، ولذا فقد سقطت سريعاً أمام أقلام نقادنا، كما سقط "التزام" فليسوفها "سارتر" عند أول تجربة لنا معه حول قضايانا العربية.

٨- التزام الأديب والشاعر مبدأ عرفه وطبقه أدبنا القديم قبل عصر المصطلحات الوافدة حديثاً، وقد ناقشنا رؤى نقدنا الحديث لهذا المبدأ من حيث قبوله أو رفضه، وهل مجاله النثر فقط أم أن الشعر يتسع له كذلك؟ كما فرّقنا بين الالتزام والإلزام، ونبهنا على أبرز عيوب الالتزام، تلك التي ستظهرها الدراسة التطبيقية للهم الاجتماعي في شعر القرن الماضي.. ومحله الحلقة الثانية من البحث إن شاء الله.

أ. د/ رفعت التهامي عبد البر

سبتمبر ٢٠٢١

An Overview of the Social Worries in the Poetic Memory of the Last Century

Representation, Analysis, and Criticism

The First Part: A Critical Introduction

III- Egypt is one of the richest countries in history, and the most fortunate of them in terms of originality, thought and civilization. History and literature preserve this authenticity for it. Therefore, we always return to history, guided by its radiances, aiming to avoid repeating its failures. This is one of the benefits of history. It is also one of the fruits of literature that history counts as one of its sources.

IV- Undoubtedly, the social problems are the same in people and societies - differ and vary in time and place. Some of them may disappear; and others may appear that, as a means of solution, call for ways of thinking and orchestral variety of statements. So, when we remind our present generations of the massive worries and major problems of the recent past that they missed from their memory, we aim to make them aware of the law of life, its vicissitudes, and the struggle of human beings in it. And that the souls detest the ugly, and seek to get rid of it, whereas they yearn for the beautiful and aspire to make it a tangible reality in art and life alike.

III- This research paper seeks to achieve its goal depending on two parts:

- **The First of them** serves as a (Critical Introduction) in two sections:

٢- On the relationship between literature and society (the inevitability of this relationship - the interest of modern criticism in it).

٢- The dominant doctrine in our Egyptian literature in the research stage, and in it:

A - "Realism": its concept in the West and its beginnings for us.

B - The battle of correcting our concepts of "Realism" in the last century.

C - "Existentialism" and responding to those who adopted it in our Egyptian environment.

D- The measure of the literary man's commitment and the critical and doctrinal controversy it raises.

- **The Second Part** is for the applied study on the poetry of the last century in two chapters... And in order not to search for too long here, I have postponed that part for the next issue, God willing.

Both parts are accompanied by conclusions, results and recommendations, the most important sources and references, and an index of topics.

And God intended the way, and from him is success

Prof. Refaat Al-Tohamy Abdel-Bar

September ٢٠٢١

أهم المصادر والمراجع (مرتبة حسب ورودها في البحث)

- اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة – محمود تيمور.
- نظرية الأدب ومناهج البحث الأدبي – د/ عبد المنعم إسماعيل.
- حول الأديب والواقع – د/ عبد المحسن طه بدر.
- فصول في الأدب والنقد والتاريخ – علي أدهم.
- الأدب والمجتمع – محمد كمال الدين علي يوسف.
- البحث الأدبي طبيعته. مناهجه. أصوله. مصادره – د/ شوقي ضيف.
- في الأدب والنقد – د/ مندور.
- الروائي والأرض – د/ عبد المحسن طه بدر.
- حيرة الأدب في عصر العلم – عثمان نويه.
- الشعر في إطار العصر الثوري – د/ عز الدين إسماعيل.
- النقد الأدبي العربي القديم تطوره وقضاياه – د/ رفعت التهامي عبد البر.
- التحليل الاجتماعي للأدب – السيد ياسين.
- مجلة الثقافة – ١٩٤٤/٤/٤م – د/ أحمد أمين.
- الأدب الهادف – محمود تيمور.
- الشعر والتجديد – دكتور خفاجي.
- المذاهب النقدية الحديثة – د/ فرهود.
- جولة في العالم الاشتراكي – د/ مندور.
- في الرومانسية والواقعية – د/ سيد حامد النساج.
- في الأدب المصري المعاصر – د/ عبد القادر القط.
- الأدب والحياة – د/ ماهر فهمي.
- قضايا جديدة في أدبنا الحديث – د/ محمد مندور.
- أدب وعروبة وحرية – رجاء النقاش.
- الأدب والفن في ضوء الواقعية – فريفيل، جون / ترجمة محمد مفيد الشوباشي.

- الاتجاهات الفكرية في الأدب المسرحي – د/ مصطفى علي عمر.
- بين المطرقة والسندان – محمود تيمور.
- في ضوء الرسالة – أحمد حسن الزيات.
- أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة د/ محمد علي الفقي.
- مجلة الأزهر – ج٥ السنة (٣٥) ديسمبر ١٩٦٣م.
- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق – د/ علي صبح.
- سارتر بين فلسفته وأدبه – لمحمود تيمور – مجلة الهلال – عدد خاص عن سارتر – فبراير ١٩٦٧.
- تيار رفض المجتمع في الشعر العربي الحديث في مصر – د/ سعد دعبيس.
- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي – د/ عبد الرحمن بدوي.
- سارتر بين الفلسفة والأدب – تأليف / موريس كرانستون – ترجمة / مجاهد عبد المنعم مجاهد.
- في الثقافة المصرية – محمود أمين العالم، د/ عبد العظيم أنيس.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/عز الدين إسماعيل.
- الإسلامية والمذاهب الأدبية – د/ نجيب الكيلاني.
- وحي الرسالة – المجلد الثالث – أحمد حسن الزيات.
- دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية – العقاد.
- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد – د/ عبد الرحمن رأفت الباشا.
- المدخل إلى النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي.
- حوار مع قضايا الشعر المعاصر – د/ سعد دعبيس.
- الأدب المقارن – د/ محمد غنيمي هلال.
- أدبنا والاتجاهات العالمية – عبد الفتاح الديدي.
- حديث الأربعاء – طه حسين ج٣.
- النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال.

- الأدب الملتزم – سارتر.
- مجلة الشعر العدد الخامس يناير ١٩٧٧.
- دراسات أدبية د/ أحمد هيكل.
- مجلة الرسالة عدد ١٠٤٣ / ٩ يناير ١٩٦٤ – السنة ٢١.
- فن الأدب لتوفيق الحكيم.
- هؤلاء يقولون في السياسة والأدب – عبد العال الحمامصي.
- معالم النقد وقضاياه – د/ عبد الرحمن عثمان.